يا أيُّها الذين آمنوا استجيبُوا لله وللرَّسُول

١٢٦

الوعي

العدد رقم (١٢٦) – السنة الحادية عشرة – رجب ١٤١٨هـ – تشرين الثاني ١٩٩٧م

إقصاء الإسلام وأخذ الأنظمة الغربية

الموت

أما لهذا التجبّر الأميركي من حدّ ؟ أما لهذه الأمّة من منقذ ؟

المعارضة السياسية

مجازر الجزائر تقوم بها أجهزة السلطة

فاصبروا واسعوا ولا تهنوا (قصيدة)

صراعات سلطة عرفات

AL-WAIE

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الحادية عشرة - ١٢٩

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان

بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ص.ب ١٣٥٠٩٩
شوران - بيروت
لبنان

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٣ مارك
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٤ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	٢٠ شلن
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٢٥ ريالاً

اقرأ في هذا العدد (١٢٩)

ص

- كلمة الوعي: أما لهذا التجبُّر الأميركي من حدّ؟ أما لهذه الأمّة من منقذ؟ ٣
- شهود عيان: السلطة تقوم بمجازر الجزائر ٥
- الموت ٧
- تعليق على رسالة ١٣
- الخطأ السياسي ١٤
- العهدة العمرية ١٦
- وجهة نظر ١٧
- أخبار المسلمين ١٨
- مع القرآن الكريم: التقوى هي البرّ ٢٠
- صحة عرفات وخلافته ٢١
- المعارضة السياسية ٢٢
- المسلمون والغرب (٨):
  إلصاء الإسلام وأخذ الأنظمة الغربية ٢٧
- فاصبروا واسعوا ولا تهنوا (قصيدة) ٣١
- كلمة أخيرة: مؤتمر الدوحة الاقتصادي ٣٥

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت.

عناوين المراسلين

ألمانيا
Orientalischer Buchhandel:
Maelzere str. 48,
D - 33098 Paderborn
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

بريطانيا
AL - WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9UW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

كندا : Canada
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44515
Scarborough, ONT. M1K 2PO

بلجيكا Belgique
A.B.DEL.
B.P. No. 80 - 1070 Bxl

اليمن
السيد محمد عامر
ص.ب ١١٦١٠
صنعاء - اليمن

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

U.S.A أميركا
AL - WAIE
P.O.Box 37932
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

أما لهذا التجبُّر الأميركي من حد
أما لهذه الأمة من منقذ؟

كلمة الوعي

ما هي حقيقة ما يجري بين أميركا والعراق؟ أميركا عينُها على الخليج وليس الخليج. عندما اندلعت الحرب بين العراق وإيران عملت أميركا على استغلالها للسيطرة على دول الخليج، لكنها فشلت لإذكائها لتلك الحرب ثماني سنوات. فخططت (أميركا) لحرب الخليج الثانية، وأغرت صدام حسين ورط في احتلال الكويت، واتخذت من ذلك ذريعة للنزول في الخليج بقصد فرض هيمنتها عليه. ولكنها فش للمرة الثانية. وسبب الفشل الأميركي في المرتين هو كون حكام الخليج من أتباع الإنكليز الذين يعطو التوجيهات، والإنجليز رغم تظاهرهم بالتنسيق مع الأميركان ولكن التنافس بينهما على أشده.

أميركا كانت قادرة سنة ١٩٩١ على دخول بغداد وإسقاط نظام صدام، ولكنها تركته عن قصد لت منه لزاعة لتخويف دول الخليج التي بقيت عصيّة على الأميركان، من أجل الوصول إلى الهدف وهو الس على نفط الخليج. ولذلك فإن أميركا لا تكفّ، عبر لجان التفتيش، عن الإعلان عن وجود ترسانات هائلة الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والجرثومية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل، لدى العراق. وقد كلينتون رئيس أميركا في ٩٧/١١/١١ بتحذير العراق من ضرب الكويت وضرب السعودية. وفي النص نفسه خوّف الأوروبيين بقوله: «ماذا سيحصل لو كان لديه (العراق) صاروخ يصل إلى أوروبا» وك وزيرة الخارجية أولبرايت حذرت الأوروبيين في ٩٧/١١/٠٩ من تطوير العراق لصواريخ بعيدة الـ تستهدف باريس وأوروبا.

إن تحريك الأزمة بين أميركا والعراق في هذه الآونة جاء من جهة أميركا، رغم بروز أن العراق هو ا حرّكها. أميركا استدرجت العراق ليظهر أنه هو البادئ. ريتشارد بتلر رئيس لجنة التفتيش عن السلا العراق قام بنقض اتفاقية بين سلفه رالف أكيوس وحكومة العراق. بموجب تلك الاتفاقية كانت لجنة التف تتجنب الأماكن ذات الصفة السيادية الحساسة مثل القصر الجمهوري. ولكن بتلر أراد أن تكون ك الأمكنة مفتوحة أمام اللجنة. وبتلر لا يقوم بمثل هذا التغيير لولا أن أميركا دفعته إليه. ثم حركت أمي مجلس الأمن لا ليخفف العقوبات عن العراق بل لزيادة هذه العقوبات بمنع سفر جميع المسؤولين العراقيي وزارة الدفاع والشرطة والاستخبارات ولجنة الصناعات العسكرية.

هذا الاستفزاز الأميركي للعراق مقصود لجرّه للرد. وهكذا كان، فقام العراق بمنع العناصر الأمير من التفتيش ثم طردهم. وهو يهدد طائرات المراقبة (يو ٢) التي يقودها أميركان بالإسقاط. وقد ش العراق وقوفُ فرنسا وروسيا والصين ومصر في مجلس الأمن ضد زيادة العقوبات على العراق.

في الأصل لا يوجد عند العراق أسرار تحتاج إلى لجان تفتيش، ولا يوجد عند العراق أسلحة أكثر مما لديه من دول المنطقة. وأميركا تركت نظام صدام في السلطة قصداً. والمهمة الحقيقية للجان التفتيش التهويل والتخويف، وتصوير العراق أنه بمنع كان سيلتهمُ دول الخليج لولا الحماية الأميركية. كل ذ لجعل دول الخليج ترتعب وترضخ للحماية الأميركية.

إذاً المشكلة الحقيقية ليست بين أميركا والعراق، بل المشكلة هي أن أميركا تثاور لأخذ الخليج الإنجليز. وما قَمْحُ الخصومة مع العراق إلا ذريعة لذلك. وأميركا تُضلِّل وتمثل على العالم.

ويقفز التساؤل: إذا كانت أميركا تسعى لخطف الخليج من نفوذ الإنجليز، فكيف نرى أن الإنجليز متضامنون مع الأميركان ومتحمسون لضرب العراق أكثر من الأميركان؟

والجواب: إننا نتوقع أن يكون اندفاع الإنجليز هو لتوريط الأميركان في ضرب العراق. ويبدو أن الإنجليز رتّبوا مع عملائهم وبعض حلفائهم خطة لزج أميركا في معارك تكون أميركا هي الخاسر فيها. ولن ندخل الآن في تكهّن أو توقّع عن تفاصيل تلك الخطة.

الضربة الأميركية الأخيرة للعراق (في أيلول ١٩٩٦) لم تزِدْ نظام صدام بل زادته قوة. وهذا يؤكد أن هدف أميركا ليس نظام صدام.

ونحن نلاحظ أن أميركا أحضرت حاملتيْ طائرات إلى المنطقة: نيميتز وجورج واشنطن مع مجموعة كبيرة من القطع البحرية الأخرى. ونلاحظ أن قاعدة إنجيرلك في جنوب شرق تركيا تعج بالمقاتلات الأميركية. وأظهرت استطلاعات الرأي في أميركا تأييداً كبيراً (٨٤ بالمائة) لضرب العراق، وكذلك أعضاء الكونغرس من الحزبين. ولقد ارتفعت شعبية كلينتون إلى ٥٩ بالمائة حين صار يهدد بضرب العراق. وهذه المؤشرات تدلّ على أن أميركا ستقوم بعمليات عسكرية ضد العراق. ولكن ليس من المتوقع أن تكون هذه العمليات، في حال حصولها، قريبة جداً. فهناك مؤتمر القمة الإسلامي في طهران في ٩٧/١٢/٠٩، وليس من المتوقع أن تقوم أميركا بعمل عسكري في المنطقة قبل ذلك. ولقد تكشّف أميركا الفخ الإنجليزي وتؤجل عملها إلى ظرف أنسب. وها نحن نسمع أن كلينتون اتصل ببلتسين واتصل بشيراك (في ٩٧/١١/١٦) وطلب من كل منهما بذل مساعيه لإقناع العراق بالتزام قرارات مجلس الأمن. وفي الوقت نفسه صرّح صموئيل بيرغر مستشار الأمن القومي بأن في آخر النفق ضوءاً يُظهر إمكان تجنّب العمل العسكري.

وماذا بعد؟ إننا ننتظر هل سيضربوننا، متى سيضربوننا، كيف وأين سيضربوننا، ومن سيهود علينا بعد ضربنا الإنجليز أو الأميركان؟ وإذا عطفوا علينا ولم يضربونا فإنهم يحاصروننا، يمنعوننا أن نبيع نفطنا، ويمنعوننا أن نسافر، ويمنعون عنا الغذاء والدواء. يعالبوننا في العراق وفي السودان وفي ليبيا وفي إيران. ويسلبون أرضنا ويهدمون بيوتنا ويقتلوننا في فلسطين وفي لبنان. هذا غير الفتن التي يشعلونها بيننا في أفغانستان وشمال العراق وجنوب السودان والجزائر وتركيا...إلخ. إهانة وإذلال لا يرضى به حُرٌّ عزيز.

في ندوة «مستقبل الوطن العربي» التي عقدت في أبو ظبي قبل أيام قال الشيخ زايد: «لو تضامنّا لما استخفّت بنا إسرائيل وطمعت في حقولنا ومقدساتنا». وقال: «لو تآزر العرب لما مارست أميركا ضغوطاً عليهم بلا مبرر». ونحن نقول له: هذا صحيح. ولكن لماذا لم نتضامن ولم نتآزر؟ وهل من أمل في أن نتضامن ونتآزر؟

الجواب بصراحة: حكام العرب قرارهم ليس بأيديهم، وسياستهم لا تنبع منهم. هم عملاء لدول خارجية، وهذه الدول متنافسة. حتى العملاء لدولة واحدة (أميركا مثلاً) ليس من مصلحتها تضامنهم وتآزرهم.

السبيل الوحيد للتوحّد هو الانفصال عن التبعية للغرب. وهذا لا يمكن أن يتم إلا بأن يقوم رجال مخلصون، غير الظالم الملوّث الحاكم الآن. وعندئذٍ هم ليس فقط يتضامنون ويتآزرون بل يتوحدون في دولة واحدة. وعندئذٍ سيقيمون هذه الدولة على عقيدة الأمة وشريعتها، أي أنها ستكون الدولة الإسلامية الجامعة، دولة الخلافة الراشدة.

هذه الدولة وحدها هي الأمل بإنهاء ذلنا وخوفنا وعبوديتنا تحت أقدام الدول الغربية. وبها وحدها نستحق نصر الله في الدنيا وثوابه في الآخرة.

﴿يا أيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّتْ أقدامكم﴾ □

شهود عيان: المجازر في الجزائر تقوم بها أجهزة السلطة

● نشرت صحيفة «صاندي تايمز» البريطانية في ٩٧/١٠/٢٦ مقالة عن مذابح الجزائر جاء فيها:

«إن المجزرة التي حصلت في بن طلحة في ٩٧/٠٩/٢٣ حصلت أمام الجيش الذي لم يكتفِ بالسكوت عن حصولها بل ساعد القَتَلَةَ على الفرار. وبعض شهود العيان قالوا بأن الجنود أو المسلحين المدعومين من الجنود شاركوا في المجزرة. امرأة مسنّة استطاعت الهرب قالت بأن الجنود اقتربوا عند وقوع المذابح ولكنهم لم يتدخلوا».

وأضافت الجريدة بأن الشاهد محمد سعال الذي يسكن في منزل محصن قريب قال: «جاء القتلةُ الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً واستمروا يذبحون حتى الساعة الثانية والنصف. وكان عددهم بين ٣٥ و٤٠. نصفهم كان بملابس مدنية ويحملون فؤوساً وسكاكين، والآخرون بملابس عسكرية ويحملون أسلحة أوتوماتيكية. قالوا إنهم الجيش وطلبوا منا أن نفتح الأبواب. وبدأوا يحطمون الأبواب بالفؤوس. وصار السكان يصرخون ويستغيثون بالجيش. وكان الجيش يسمع الاستغاثات لأنه كان قريباً ولكنه لم يستجب» وأضافت الجريدة نقلاً عن شاهد آخر يتحدث عن مجزرة سيدي رايس التي قُتِل فيها حوالي ٣٠٠ شخص في شهر آب ٩٧: «بعض المهاجمين كانوا يلبسون الثعلة. آخرون وضعوا لِحىً مزيفة وشعراً مستعاراً».

وأضافت: «كثيرون في الجزائر يعتقدون أن مجزرة بن طلحة لن تكون الأخيرة ما دام القَتَلَة مُخفِين».

وقالت: «المراقبون يفسرون زيادة العنف الأخيرة بوجود صراع على السلطة بين الجنرالات الحاكمين. لقد تم إطلاق عباسي مدني في ٩٧/٠٧/١٥ باتفاق مع زروال في محاولة لإنهاء الحرب. ولكن المنافس الأول لزروال، رئيس أركان الجيش محمد العماري، الذي يتزعم الفريق الاستئصالي في الجيش، وقف ضد خطة زروال وضد أي تفاهم مع الأصوليين. الخبراء العسكريون الغربيون ينفون الادعاءات بشأن عدم قدرة الجيش على التدخل لحماية المدنيين في بن طلحة بسبب وجود الألغام. ويقولون بأنه كان يمكن للجيش أن يتدخل ضد القَتَلَة لو شاء ولكنه لم يفعل».

● نشرت صحيفة «ذا إندبندنت» البريطانية في ٩٧/١٠/٣٠ مقابلة مع ضابط شرطة جزائري عمره ٢٣ سنة اسمه «رضا» كان مسؤولاً عن السلاح في مركز شرطة في العاصمة الجزائرية، وقد فرّ وسافر إلى بريطانيا يطلب لجوءً سياسياً. يقول هذا الضابط بأنه شاهد لحية للتنكر ونوعاً من المسك، الذي يستعمله المسلمون الأتقياء، في أغراض أحد أعضاء وحدة كوماندوس كانت عائدة من هجوم على إحدى القرى عُثِر فيها لاحقاً على جثث ٢٣ مدنياً قُتِلوا ذبحاً. وقال الضابط إنه يشتبه أن رفاقه تنكروا بهيئة إسلاميين مسلحين لارتكاب هذه الفظاعات. وقال إن رفاقه كانوا يقومون بتصفية السجناء بخنقهم بممامح مبللة بالخوامض أو بإدخال زجاجات في مؤخراتهم، وكانوا يعذبونهم بالمثقب الكهربائي لينقبون أقدامهم ومعداتهم. وكانوا يغطسون رؤوسهم بالماء حتى الموت.

وقالت شرطية جزائرية للصحيفة نفسها بأنها رأت سجناء مقيدين إلى سلالم ويُرغَمون على شرب مياه مجارير لإرغامهم على التوقيع على اعترافات. وقالت بأنها أحصت خلال بضعة أشهر قرابة ألف رجل تعرضوا للتعذيب بمعدل ١٢ سجيناً في اليوم. وقد اعترفت الشرطية بأنها وقّعت شهادات وفاة مزوّرة ادّعت فيها بأنه عُثِرَ على جثث السجناء

الذين تتم تصفيتهم مهترئة في الغابات الواقعة جنوب العاصمة.

واعترف «رضا» للصحيفة بأنه شارك في القتل وأنه الآن تائب ونادم. وقال بأن مسؤوليهم كانوا يزودونهم بنوع من الحقن السائلة ويطلبون منهم أن يحقن بعضهم بعضاً بالذراع عندما يقومون بمهاجمة قرية. «هذه الحقن تجعلنا نعيش في عالم من الخيال، ونقدم على ارتكاب فظائع لا يمكن أن نقدم عليها ونحن في وضعنا الطبيعي».

● نشرت صحيفة «ذي أوبزيرفر» البريطانية في ٩٧/١١/٠٩ عن عميل سابق للاستخبارات الجزائرية اسمه «يوسف» أن أجهزة الأمن الجزائرية وليس «الجماعة الإسلامية المسلحة» هي من يقف وراء حملة التفجيرات التي شهدتها باريس في صيف ١٩٩٥. وقال يوسف: إن الاستخبارات الجزائرية نفذت «على الأقل» تفجيرين في العاصمة الفرنسية لتأليب الرأي العام الفرنسي ضد الإسلاميين. وتبنت «الجماعة المسلحة» عمليات التفجير تلك. لكن يوسف، وهو طالب لجوء سياسي في بريطانيا، أكد أن «الجماعة المسلحة» نفسها من صنع الاستخبارات الجزائرية. وشدد على أن الحكومة الجزائرية تدير في شكل كامل حالياً «الجماعة المسلحة».

ونسبت الصحيفة إلى العميل يوسف أن المجازر التي تشهدها الجزائر تقوم بها أجهزة الأمن. وقال إن أجهزة الاستخبارات الغربية تعرف من يقوم بالمجازر لكنها لا تعلن ذلك خشية توقف إمداداتها من النفط الجزائري. كذلك اتهم هذا العميل أجهزة الأمن بقتل العشرات من الأجانب في الجزائر من بينهم بريطاني، وبقتل الرئيس محمد بوضياف في حزيران ١٩٩٢.

وأكد يوسف أن الاستخبارات الجزائرية ترشي مئة أجانب وصحافيين وأفراداً في الشرطة في دول أوروبية. وقال إنه نقل بنفسه حقيبة تحتوي على ٥٠٠ ألف فرنك (٨٧ ألف دولار) إلى نائب فرنسي سابق على صلة قوية بالاستخبارات الفرنسية.

وقدم وصفاً تقشعر له الأبدان للأساليب التي تستخدمها الشرطة ضد خصومها، مثل غرس الشوك في الأعين، ومثل قولهم لمن يحققون معه: «تحدث وإلا اعتدينا جنسياً على ابنتك».

● نشرت صحيفة «لوموند» الفرنسية في ٩٧/١١/١٠ مقابلة مع ضابط جزائري كبير قال فيها إنه مقتنع بأن المذبحة التي وقعت في أيلول الماضي وراح ضحيتها أكثر من ٢٠٠ شخص في بني مسوس، نفذتها الاستخبارات الجزائرية. وأوضح هذا الضابط أنه «كانت هناك ست ثكنات للجيش... ومُنع الجيش من التدخل في الأمر» وأشار إلى أن القَتَلَة أحضروا معهم إسلامياً أُخرج من سجنه بصورة مؤقتة بحيث يتعرف عليه أهالي القرية ويوجهون اتهاماتهم للإسلاميين.

كما أكد أن القنبلتين اللتين انفجرتا في باريس في العام ١٩٩٥ وراح ضحيتهما ثمانية أشخاص في محطة ميترو أنفاق سان ميشيل، وأصيب ١٣ شخصاً في محطة ميترون بلانش، كانتا من تدبير الاستخبارات الجزائرية.

وذكر أن بوعلام بن سعيد الذي اعتقلته الشرطة الفرنسية لاحقاً كمشتبه في انتمائه للجماعة الإسلامية المسلحة هو في الواقع ضابط في الاستخبارات الجزائرية دبّر التفجيرين، وأن العبوات الناسفة جاءت من السفارة الجزائرية.

● كانت أطراف جزائرية عدة، من بينها الرئيس السابق بن بلّه، صرّحت أن المجازر تقوم بها أجهزة السلطة، وتحاول لصقها بالجماعات الإسلامية لتشويه صورتها وتنفير الناس منها.

وها قد بانت الحقيقة وسقطت السلطة في الحفرة التي حفرتها للحركات الإسلامية □

المَوت

بقلم: ك. ش.

يُذكِّرُنـي طُلُـوعُ الشَّـمْسِ صَخْـراً ... وَأَذْكُـرُهُ لِكُـلِّ غُـروبِ شَـمْسِ
فَلَـوْلا كَـثْرَةُ الْبَـاكِينَ حَـوْلي ... عَلَـى إِخْوَانِهِـمْ لَقَتَلْـتُ نَفْسِـي
وَمَـا يَبْكِـينَ مِثْـلَ أَخِـي وَلَكِـنْ ... أُسَـلِّي النَّفْـسَ عَنْـهُ بِالتَّأَسِّـي
فَقَـدْ وَدَّعْـتُ يَـوْمَ فِـرَاقِ صَخْـرٍ ... أَبِـي حَسَّـانَ لَذَّاتِـي وَأُنْسِـي
فَيَـا لَهْفِـي عَلَيْـهِ وَلَهْـفِ أُمِّـي ... أَيُصْبِـحُ فِـي الضَّرِيـحِ وَفِيـهِ يُمْسِـي

بهذهِ الأبياتِ وَبأمثالِها رَثَتِ الخَنْساءُ أخاها صَخْراً، وَبكتْه حَتّى فقدَتْ عَينَيْها مِن شِدّةِ البُكاء، جزِعَتْ، وَيئِستْ، وَتمنّتِ المَوْتَ، هَكَذا رأتِ الخنساءُ المَوْتَ وَهَكَذا تعامَلَتْ مَعَهُ.

وفي معركةِ القادسيةِ، وَفي مَوْقِفٍ مَهيبٍ، موقفُ القِتالِ وَالمَوْتِ، وَقفتِ الخنساءُ وَقفةً عظيمةً مَعَ أبنائِها الأربعةِ وَقالَتْ لَهُم: (إنَّكُم أسْلَمتم فلم تُبَدِّلوا وَهاجرتم فلم تَثوبوا، ثمّ جئتُم بأمّكم عجوزاً كبيرةً فوضعتموها بَيْنَ يَدَيْ أهلِ فارسَ، إنكم لَبَنُو رجلٍ وَاحدٍ، كما أنكم بَنو امرأةٍ وَاحدةٍ، مَا خنتُ أباكم، وَلا فَضَحْتُ خالَكم، انطَلِقوا فاشْهَدوا أوّلَ القِتالِ وَآخرَهُ) وَاستشهدَ أبناؤها الأربعةُ فلمّا بَلغَها ذَلِكَ قالَت قولتها المشهورة: (الحمْدُ للهِ الّذي شرّفَني بقتلِهم، وَإنّي أسألُه تعالى أن يجمعَني بهم في مُستقرِّ رحمتِهِ).

ما الّذي غيّرَ نظرةَ الخنساءِ إلى المَوْتِ مِن الجاهليةِ إلى الإسلام؟ أبعدَ فَقْدِ العينينِ لبكاءِ الأخِ كانَ الفخرُ بموتِ الأبناء، وَبعدَ الجزعِ مِنَ المَوْتِ، كانَ التمنّي بلقائِهِمْ في الجنّةِ، أيُّ انقلابٍ هذا في الفكرِ وَالنفسِ، وَأيُّ تغيرٍ هذا الّذي يحوّلُ الإنسانَ من حياةٍ إلى حياةٍ، وَمِن تصوّرٍ إلى تصوّرٍ.

إنّه الإسلامُ بعقيدتِهِ التي جعلتِ المَوْتَ عندَ المسلمِ هوَ لقاءُ اللهِ المنتظرُ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ وَمِنهم مَن يَنتظرُ، وَمِنهم مَن صدقَ مَا عاهدَ اللهَ عليهِ ايضاً، وَلكنّه لَمْ يقضِ نحبَهُ بعدُ، فهُوَ يَنتظرُ.

ومِنهم مَن يَنتظِرُ، نعم! يَنتظِرُ وَكأنّه يعيشُ في هذهِ الدُّنيا وَيُصَبِّرُ نفسَهُ عليها مُنتظراً أجلَه، ليلحقَ بصحبِه ويلقى وجْهَ ربّه، وَلَم لا يَنتظِرُ وَهوَ الّذي صَدَقَ معَ اللهِ في عهْدِهِ، وَأقرَّ اللهَ لَهُ ولأمثالِهِ أنّهم لَم يُبدّلوا تبديلاً، فهمُ الذينَ ظلّوا على العهدِ معَ اللهِ لَم يُبدّلوا ولَم يُغيّروا، فمِنهم مَن رَحلَ قاضياً أجلَهُ في الدُّنيا، وَمِنهم مَن يَنتظرُ دَنوَّ الأجَلِ وَقد استعدَّ لَهُ وتهيّأ.

ولا ينتظرُ لقاءَ اللهِ مَن لَمْ يستعدّ لِهذا اللقاء ويتجهزْ لَهُ ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فالذي يفرُّ مِن المَوْتِ إمّا أنّه لا يؤمنُ بلقاءِ اللهِ، ويريدُ أن يتمتعَ في الدُّنيا بأكبرِ قسطٍ ممكنٍ وبأطولِ زمنٍ يقدرُ عليهِ، قالَ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

وإمّا أنّهُ مؤمنٌ ضَعُفَ تذكّرُ اللهِ واليومِ

الآخر عنده، فهو غافلٌ عن آخرته، مُشتغلٌ بدُنياه، فإذا جاءه الموتُ ندِمَ وتحسَّرَ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾. يُروَى أنّهُ لمّا حضرَتْ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوَان الوفاةُ نظرَ إلى غسّالٍ بجانبِ دمشقَ يلوي ثوباً بيدِه ليضربَ به المغسَلَةَ، فقالَ عبدُ الملكِ: ليتني كنتُ غسّالاً آكلُ من كسبِ يدي يوماً بيوم، ولم آلِ من أمرِ الدُّنيا شيئاً، فبلغ ذلكَ أبا حازم فقالَ: الحمدُ للهِ الذي جعلَهُم إذا حضرَهُمُ الموتُ يتمنَّوْن ما نحنُ فيهِ، وإذا حضرَنا الموتُ لم نتمنَّ ما هم فيهِ.

أيّها الأخوةُ الكِرامُ:

إنّ الإيمانَ بأنّ سببَ الموتِ هوَ انتهاءُ الأجلِ لهُ لازمةٌ يجبُ ألاّ تنفصلَ عنهُ، وهيَ ترقّبُ الموتِ في كلِّ لحظةٍ وفي كلِّ حينٍ، وما يتبعُ هذا الوقبَ من استعدادٍ وتهيُّؤٍ، يتناسبُ معَ الإيمانِ بالآخرةِ التي يُفتحُ البابُ لها بالموتِ، حيثُ لا عملَ ولا جهادَ ولا حلَّ دعوةٍ، قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم لعبدِ اللهِ بنِ عمر: «إذا أصبحتَ فلا تُحدِّثْ نفسَكَ بالمساءِ وإذا أمسيتَ فلا تُحدِّثْ نفسَكَ بالصباحِ وخُذْ من حياتِكَ لموتِكَ ومن صحّتِكَ لسقمِكَ فإنّكَ يا عبدَ اللهِ لا تدري ما اسمُكَ غداً»[1].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «الكيّسُ من دانَ نفسَه وعملَ لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ من أتبعَ نفسَه هواها ثمّ تمنّى على اللهِ الأمانيّ» وفي الحديثِ الصحيحِ لمّا سألَ جبريلُ عليهِ السلامُ الرسولَ ﷺ عنِ الإحسانِ، قالَ ﷺ: «أن تعبدَ اللهَ كأنّكَ تراهُ، فإن لم تكنْ تراهُ فإنّه يراكَ».

ولا قيمةَ للإيمانِ بالموتِ ما لم يُؤمنْ بالآخرةِ، فالموتُ هوَ بدايةُ الطريقِ للحياةِ الآخرةِ، الحياةِ الأبديّةِ، الحياةِ التي يتقررُ فيها المصيرُ، فإمّا نعيمٌ وإمّا جحيمٌ، فمَن خافَ الموتَ وآمنَ بأنّ سببَهُ انتهاءُ الأجلِ، ولم يُراقبْ نفسَهُ ولم يحاسبْها، ولم يتصوّرْ الآخرةَ تصوراً يجعلُهُ مُستعداً للرحيلِ إليها في أيّةِ لحظةٍ، فإنّهُ لا تأثيرَ لإيمانِهِ هذا عليهِ في دُنياهُ، وهو وإن تأثرَ فإنّ ذلكَ لا يَعدُو أن يكونَ مُجرّدَ لحظاتٍ ندمٍ خاطفةٍ، لا تبعثُها محاسبةٌ ومراقبةٌ، ولذا فإنّهُ سُرعانَ ما يعودُ إلى سابقِ عهدِهِ، ليَعصيَ اللهَ بعدَ زوالِ أثرِ ما ذُكّرَ بهِ أوْ سَمِعَهُ أوْ شاهَدَهُ.

قالَ عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ في آخرِ خطبةٍ خطبَها في حياتِه: (إنّ اللهَ عزّ وجلّ إنّما أعطاكُمُ الدُّنيا لتطلُبُوا بها الآخرةَ، ولم يُعطِكُمُوها لتركَنُوا إليها، إنّ الدُّنيا تفنى والآخرةُ تبقى، فلا تُطرِفَنّكُم الفانيةُ ولا تشغلَنّكم عنِ الباقيةِ، فاثروا ما يبقى على ما يفنى فإنّ الدُّنيا منقطعةٌ وإنّ المصيرَ إلى اللهِ).

فالموتُ يُذكّرُنا بالآخرةِ، أنعِمْ بهِ من مُذكّرٍ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أكثروا من ذِكرِ هادمِ اللذّاتِ»[2] وقالَ ﷺ: «لو تعلمُ البهائمُ من الموتِ ما تعلمُ ابنُ آدمَ ما أكلتُم منها سمينا»[3] وقالَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما: أتيتُ النبيَّ ﷺ عاشرَ عشرةٍ فقالَ رجلٌ منَ الأنصارِ: مَن أكيسُ الناسِ وأكرمُ الناسِ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ الرسولُ ﷺ: «أكثرُهم ذِكراً للموتِ وأشدُّهم استعداداً لهُ، أولئكَ همُ الأكياسُ، ذهبُوا بشرفِ الدُّنيا وكرامةِ الآخرةِ»[4].

وقالَ عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ﷺ في إحدى خُطبِهِ: (إنّ لكلِّ سفرٍ زاداً لا محالةَ، فتزوّدُوا لسفرِكُم منَ الدُّنيا إلى الآخرةِ بالتقوى، وكُونوا كمَن عاينَ ما أعدَّ اللهُ من ثوابِهِ وعقابِهِ ترغّبوا وترهّبوا، ولا يطولنّ عليكُمُ الأمدُ فتقسُو قلوبُكُم، وتنقادوا لعدوِّكُم، فإنّه واللهِ ما بسطَ أملَ من لا يدري لعلّه لا يصبحُ بعدَ مسائِهِ ولا يُمسي بعدَ صباحِهِ، وربما كانتْ بينَ ذلكَ خطفاتُ المنايا، وكم

رأيتُ ورأيتُم مَن كانَ بالدُّنيا مغروراً، وإنّما تقرّ عين مَن وثِقَ بالنّجاةِ مِن عذابِ الله تعالى، وإنّما يفرحُ مَن أمِنَ أهوالَ القيامةِ، فأمّا مَن لا يُداوي كلْماً إلاّ أصابَه جرحٌ مِن ناحيةٍ أخرى فكيفَ يفرحُ؟ أعوذُ بالله مِن أن آمرُكم بما لا أنهى عَنهُ نفسي فتخسرُ صفقتي وتظهرُ غيبتي وتبدر مسكَنتي في يومٍ يبدو فيه الغِنى والفقرُ، والموازينُ فيه منصوبةٌ، لقدْ غُبتم بأمرٍ لَو غُيّبَت بهِ النّجومُ لانكدرتْ، ولو غُيبت بهِ الجبالُ للابتْ، ولو غُيبت بهِ الأرضُ لتشققتْ).

وكانَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ يجمعُ كلَّ ليلةٍ الفقهاءَ، فيتذاكرون المَوْتَ والقيامةَ والآخرةَ، ثمّ يكونَ كانَ بَين أيديهم جنازةٌ، ورُوِيَ أنّه إذَا ذُكِرَ المَوْتُ عندهُ انتفضَ انتفاضَ الطّيْرِ، فيبكي حَتّى تجري دموعُه على لحيتِه، وبكى ليلةً فبكى أهلُ الدارِ جَميعُهُمْ، فلمّا تجلّت عنهُم العَبْرةُ، قالَتْ لهُ زَوْجُهُ فَاطِمَةُ: بأبي أنتَ يا أميرَ المُؤمِنينَ بِمَ بكيتَ؟ قالَ: ذكرتُ مُنصرَفَ القومِ مِنْ بين يدي الله تعالى، فريقٌ في الجنّةِ وفريقٌ في السّعيرِ، ثمّ صَرَخَ وغُشِيَ عَلَيْهِ.

فذِكرُ المَوْتِ يُذكّرُ بالآخرة، وفيه مِن الموعظةِ والتدبُّرِ الشيءُ الكثيرُ، دخلَ الحسنُ ﷺ على رجلٍ يجودُ بنفسِه فقالَ: (إنّ أمراً هذَا أولُه لجديرٌ أنْ يُتقى آخِرُه، وإنّ أمراً هذَا آخرُه لجديرٌ أن يُزهدَ في أوّله).

ومَن تصوّر أن آخِرَتَه قد تحين في أيةِ لحظةٍ، فإنّه لا بدّ أن يستعدّ لها أيّما استعدادٍ. لما حضرتْ أحمدَ بن خَضْرويَة الوفاةُ قالَ لابنِه: (يا بُنيّ، بابٌ كنتُ أدقُّه خمساً وتسعينَ سنةً هوَ ذا يُفتحُ الساعةَ لي، لا أدري أيُفتحُ بالسعادةِ أوْ الشقاوةِ). ويُروى أنّ أحدَ الصالحينَ احتُضِر، فبكت امرأته فقالَ لها: مَا يُبكيك؟ فقالَت: عليك أبكي، فقالَ: إن كنت باكيةً فابكي على نفسِك، فلقد بكيتُ لِهذَا اليومِ أربعينَ سنةً.

أرأيتَ يا أخي لو أنّ وراءَك سفراً بعيداً أكنتَ تُهمِلُ الاستعدادَ والتهيُّؤَ لهُ؟، فإنّك إذ فعلتَ ذلكَ فأنتَ بين أحدِ أمرين: إمّا أنْ السفرَ لا يَهُمُّك، ولا تَعْبَأُ بهِ، ولا تحسبُ لهُ حساباً. وإما أنّك مهملٌ لا قيمةَ للزمنِ عِندَك. ومَا المَوْتُ إلاّ سَفَرٌ كلّنا نؤمنُ بقدومِه إيماناً لا يتطرقُ إليهِ ارتيابٌ. وكلُّ يومٍ يمضي علينا، نقربُ فيهِ مِنَ المَوْتِ يوماً، فمَن بلغَ الثلاثينَ مِن عُمُرِه فقد اقتربَ مِنَ المَوْتِ ثلاثينَ سنةً، ومَنْ بلغَ الستينَ فقد اقتربَ مِنَ المَوْتِ ستينَ سنةً، وهكذَا، فأيُنا استعدّ لِهَذَا السفرِ الذي لا نعلم متى هو، وإلى أين سيكون فيه مصيرنا؟ وأيّنا تهيّأ للرحيلِ في أيةِ لحظةٍ... الآن.. أوْ بعد قليلٍ.. أوْ في الغدِ.. أوْ بعدِه.. إن همّا إلاّ نَفَسَيْنِ نَفَسٌ تأخذُه ونفسٌ تخرجُه وأنتَ لا تعلمُ مَعَ أيّ النَّفَسَيْنِ ستَخْرُجُ الروحُ. اللهم السلامةَ السلامةَ يوم لقاكَ.

إن الموت تذكرة تتبعها محاسبة ومراقبة، كانَ الربيعُ بن خيثم قد حفر في داره قبراً، فكانَ إذَا وجدَ في قلبِه قساوةً دخلَ فيه فاضطجع ومكثَ مَا شاء الله ثمّ يقول: ﴿ربِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ يردّدها، ثمّ يردُّ على نفسِه قائلا: يا ربيع ها قد رجعت فاعمل.

وليست التذكرةُ هيَ البكاءُ والنّحيبُ ولَومُ النّفسِ ساعةَ رؤيةِ المُحتَضَرِ، أوْ الوقوفُ على الميتِ أوْ زيارةُ المقابرِ فحسب، بلِ التذكرةُ في المَوْتِ أن يتصوّرَ المؤمنُ في أيةِ لحظةٍ أنّهُ سيقابلُ ربّه، وأنّه سينقطع عمله وسيُعدمُ التوبةَ، فيكون متيقظاً لنفسه حريصاً على طاعةِ الله مراقباً ربّه في كلِّ لحظةٍ مِن لحظاتِ حياته، قالَ أنس ﷺ: سمعتُ عمر بن الخطابِ ﷺ وقد دخلَ حائطاً، فسمعته يقول وبيني وبينه جدار: (عُمَر بن

الخطاب أمير المؤمنين، بخ بخ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك)، وقال ابو بكر الصديق ﷺ: (من مقت نفسه في ذات الله آمنه الله من مقته).

فمحاسبة النفس ومراقبتها عن الزلل، نجاة للمؤمن من عذاب الله، وقد شد العزم على أن يلقى الله طائعاً ملبياً، ملتزما بما أمره الله به، لم يمل ولم يكل ولم ييأس بل سار على صراط الله متحملا مفاتن الدنيا ومصائبها، زاهداً بما عند الخلق راغباً بما عند الخالق.

تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام (فقال ﷺ: «إن النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل: يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف؟ قال: «نعم، التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله»[٥] وقال السدي رحمه الله: (﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملاً﴾ اي أيكم أكثر للموت ذكراً واحسن له استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً).

فهلا عرضت نفسك يا أخي على ما كلفك الله به بصفتك مسلماً أولاً، وحاملَ دعوة ثانياً، هلا سألت نفسك إن كنت قد أديت الحق أو قصرت في أدائه؟ وهل أدركت أنك أكثر الناس هماً وأكثرهم تبعة، وانك أحوج الناس في هذا الزمن إلى محاسبة النفس وقهرها للقيام بما كلفك الله به من أعمال، وما ألقي على كاهلك من مسئوليات؟

وهل أدركت يا أخي وأنت تحسب للموت حسابه، وتتذكر الآخرة، فتبكي خوفاً من عذاب النار، وتعمل رغبة في نعيم الجنة، هل أدركت يا أخي بان ما لديك من الفكر المستنير، والفهم الدقيق، والإخلاص الواعي لن يجعل منك صوفياً غافلا، أو درويشا احمق، أو منزويا في الأركان والزوايا يبكي ويولول؟ ولا ينبغي لك ذلك، ولكن كن حامل الدعوة الذي باع نفسه لله، القائد السياسي الذي تبكيه آية، ويهز مشاعره موقف.

أما علمت أن رسول الله ﷺ كان أشد الناس خوفا وأكثرهم بكاء، قال له ابو بكر الصديق ﷺ يوما: يا رسول الله شبت، فقال ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها: الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» وروى ابن النجار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سمع قارئا يقرأ ﴿إن لدينا انكالا وجحيما﴾ فصعق ﷺ أي اغمي عليه. وروي عنه أنه عندما كان ﷺ يسير إلى مكة لفتحها وقد تدجج المسلمون بالسلاح، رأى قترةً تطير فوق رأسه وتصيح فبكى ﷺ وقال: «من فجع هذه بولدها، ردوا عليها وليدها».

ولما نزل قوله تعالى: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون﴾ وتضحكون ولا تبكون﴾ بكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع رسول الله ﷺ حسهم بكى معهم فبكى الصحابة كلهم ببكائه، فقال ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة مصر على معصية، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم»[٦].

أما علمت أن عمر بن الخطاب ﷺ مع شدته في الحق وصلابته، وقوة بأسه، كان يخر لسماع آية ويذرف الدموع عندما يُذكَّر بالآخرة، وكان خاتمه قد كتب عليه (كفى بالموت واعظا يا عمر).

أما علمت أن احد الصحابة قال في أبي بكر الصديق: كنت إذا رأيته وهو يعد الجيوش تظن أنه لم يتكل على الله ابداً، وكنت إذا رأيته وهو يكثر من دعاء الله بالنصر وهو يبتهل ويبكي، تقول: ما أعد هذا من عدة قط.

ألم تسمع قوله تعالى واصفا خير خلقه: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء

بينهم تراهم رُكّعا سُجّدا يبتغون فضلا مِنَ الله ورضوانا سِيمَاهُمْ فِي وجوههم مِن أثر السجود ذَلِكَ مثلهم فِي التوراة ومثلهم فِي الإنجيل كزرع أخرج شَطْأَهُ فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزُّرَّاعَ ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنُوا وعملوا الصالحات مِنهم مغفرة وأجرا عظيما﴾.

أولئك هم القادة الذين أقاموا الإسلام وجاهدوا فِي سبيل الله حَتَّى لَقُوا ربهم، رهبان الليل فرسان النهار، قَالَ فيهم عليّ بن أبي طالب ﷺ واصفا: (والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانُوا يصبحون شُعْثاً غُبْراً، بينَ أعينهم أمثالُ رُكَبِ المِعْزَى، قدْ باتُوا لله سُجّداً وقِياماً، يَتلون كِتابَ الله تعالى، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذَا أصبحوا ذكروا الله عز وجل، مادوا كما يميد الشجر فِي يوم الريح، وهَمَلَتْ أعينهم حَتَّى تبل ثيابهم، والله لكأنّ القوم باتُوا غافلين).

قَالَ أبو عُبيدةَ الباجيّ: (دخلنا على الحسن فِي مرضه الّذِي مات فيه فقَالَ: مرحباً بكم وأهلا، حياكم الله بالسلام وأحلّنا وإياكم دار المقام، إن صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم مِن هذا الخير رحكم الله أن تسمعوه بهذِهِ الأذن وتخرجوه مِن هذِهِ الأذن، فإنّ مَن رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً لَمْ يضع لَبِنَةً على لَبِنَةٍ ولا قصبة على قصبة ولكن رفع لَهُ علم فشمر إليه، الوَحى الوَحى، النَّجَا النَّجَا، رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كِسرةً ولبس خِلقةً ولزق بالأرضِ واجتهدَ فِي العبادة وبكى على الخطيئة وهربَ مِن العقوبة وابتغى الرحمةَ حَتَّى يأتيهِ أجلُهُ وهُوَ على ذلكَ)[7].

إن الدُّنيا أيها الاخوة بمتاعها وفتنها تلهي المؤمن مهما كانَ متاعها قليلا وفتنها تافهة، وتشغله عَن آخرته إن قبل هُوَ أن يلهى بها وينشغل بها عَن آخرته، قَالَ تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فِي الأموال والأولاد كمَثَلِ غيثٍ أعجب الكفارَ نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حُطاما وفِي الآخرةِ عذاب شديد ومغفرة مِن الله ورضوان وما الحياة الدُّنيا إلا متاع الغرور ۞ سابقوا إلى مغفرة مِن ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنُوا بالله ورسله ذَلِكَ فضل الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

وما المَوْتُ إلاّ الصاحب الصدوق الّذِي يظل يذكّر المؤمن بآخرتِهِ، وما دام المؤمن يتذكر آخرتَهُ ويحسب حسابها فإنه إلى خير، وسيعيش حياته فِي رحاب تذكّر الآخِرَةِ والاستعداد لها، لذلك حثنا الرَّسُولُ ﷺ على تذكر المَوْتِ، والاستعداد لَهُ كما حثنا على زيارة القبور والسلام على أهلها فهي خير واعظ وخير مذكّر.

عن أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «زر القبور تذكر بها الآخِرَةَ، واغسل المَوْتَى فإنّ معالجة جسد خاو موعظة بليغة، وصلّ على الجنائز لعل ذَلِكَ أن يحزنك فإنّ الحزين فِي ظل الله»[8].

وقَالَ ابن أبي مُلَيْكَةَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «زوروا موتاكم وسلموا عليهم فإنّ لكم فيهم عبرة»[9].

ويروى عَن أبي هريرة ﷺ أنه كانَ إذَا رأى جنازة قَالَ: امضوا فإنّا على الأثر. وعن الضحاك قَالَ: قَالَ رجل: يا رَسولَ الله مَن أزهدُ النّاس؟ قَالَ ﷺ: «مَن لَمْ ينسَ القبرَ، وترك فضل زينة الدُّنيا، وآثر مَا يبقى على مَا يفنى، ولم يعدّ غداً مِن أيامه، وعدّ نفسه مِن أهل القبور».

ولنا فِي رَسولِ الله ﷺ أسوة حسنة، ولنا فِي صحبه الكرام ﷺ اهتداء ورشد، ولنا فيمَن سبقنا مِن الأخيار عبرة وعظة، فقد كانُوا يحرصون على تذكر المَوْتِ ليعينهم تذكره على

الاستعداد للآخرة، وإذا جاءهم الْمَوْتُ وجدتهم بين باك على نفسه خوفاً ورهبة من عذاب الله، وبين محسن في الله أحسن الظن وراج مغفرته، وبين متهيئ كل التهيؤ ومستعد كل الاستعداد.

أما الرَّسُولُ ﷺ فقد ابتدأ استقباله للموت بالاستغفار لأهل القبور، وذلك في مرضه الَّذِي مات فيه، فعن أبي مُوَيْهِبَةَ مولى رَسول الله ﷺ قَالَ: (بعثني رَسولُ الله ﷺ من جوف الليل، فقَالَ لي: «يا أبا مُوَيْهِبَةَ إني قد أُمِرتُ أن استغفر لأهل البقيع، فانطلقْ معي» فانطلقتُ مَعَهُ، فلما وقف بين أظهرهم، قَالَ: «السلام عليكم أهل المقابر، لِيَهْنْ لكم مَا أصبحتم فيه مما أصبح النَّاس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرُها أولَها والآخرة شر من الأولى» ثمّ أقبل عليّ فقَالَ: «يا أبا مُوَيْهِبَةَ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدُّنْيَا والخلد فيها، ثمّ الْجَنَّةَ، خيرت بين ذَلِكَ وبين لقاء ربي والْجَنَّةِ، فاخترت لقاء ربي والْجَنَّةَ» فقلت: بابي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدُّنْيَا والخلد فيها ثمّ الْجَنَّةَ، فقَالَ ﷺ: «لا والله يا أبا مُوَيْهِبَةَ، لقد اخترت لقاء الله والْجَنَّةَ» ثمّ استغفر لأهل البقيع ثمّ انصرف فبدئ رَسولُ الله ﷺ بوجعه الَّذِي قُبِضَ فيه).

ولما اشتد به الوجع ﷺ قَالَ للفضل وهُوَ معصوب الرأس من شدة الألم: «خذ بيدي يا فضل» فاخذ الفضل بيده حَتَّى جلس على المِنبر ثمّ قَالَ للفضل: «نادِ في النَّاس» فاجتمعوا إليه، فحمد الله وصلى على أصحاب أحد، واستغفر لَهُم، وأكثر الصلاة عليهم، ثمّ قَالَ: «أما بعد أيها النَّاس، فإني احمد إليكم الله الَّذِي لا إله إلاّ هُوَ، وإنه قد دنا مني حقوق بين أظهركم، فمَن كنتُ جلدت لَهُ ظهرا فهذا ظهري فَلْيَسْتَقِدْ منه، ومَن كنت شتمتُ لَهُ عرضا فهذا عرضي فَلْيَسْتَقِدْ منه، ألا وإنّ الشَّحْنَاءَ ليست من طبعي ولا من شأني، ألا وإنّ احبكم إليّ مَن اخذ مني حقا إن كانَ لَهُ، أوْ حَلَّلَني فلقيت الله وأنا أطيب النفس، وقد أرى أن هذا غير مغن عني حَتَّى أقوم مرارا» ثمّ نزل ﷺ فصلى الظهر، ثمّ رجع فجلس على المِنبر، فعاد لمقالته الأولى في الشَّحْنَاء وغيرها، فقام رجل فقَالَ: يا رَسولَ الله، إنّ لي عندك ثلاثة دراهم، فقَالَ ﷺ: «أعطه يا فضل»، ثمّ قَالَ ﷺ: «أيها النَّاس، مَن كان عنده شيء فليؤده، ولا يقل فَضُوحُ الدُّنْيَا، ألا وإنّ فَضُوحَ الدُّنْيَا ايسر من فَضُوحِ الآخِرَةِ»، فقام رجل فقَالَ: يا رَسولَ الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله، فقَالَ ﷺ: «ولِمَ غللتَها»، قَالَ الرجل: كنت إليها محتاجا، فقَالَ ﷺ: «خذها منه يا فضل»، ثمّ قَالَ ﷺ: «يا أيها النَّاس، مَن خشي من نفسه شيئاً فليقم أدْعُ لَهُ»، فقام رجل فقَالَ: يا رَسولَ الله، إني لكذاب، إني لفاحش، وإني لنؤوم، فقَالَ ﷺ: «اللهم ارزقه صدقا وايمانا، وأذْهِبَ عنه النوم إذَا اراد»، ثمّ قام رجل فقَالَ: والله يا رَسولَ الله إني لكذاب وإني لمنافق وما من شيء إلا جئته، فقام عُمَرُ بنَ الْخَطَّابِ ﷺ فقَالَ: فضحت نفسك أيها الرجل، فقَالَ النبي ﷺ: «يا بن الخطاب فضوح الدُّنْيَا اهون من فضوح الآخِرَةِ، اللهم ارزقه صدقا وإيمانا وصير امره إلَى خير» □ (يتبع)

الهوامش:

(١) رواه البخاري.
(٢) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.
(٣) أخرجه البيهقي في الشعب.
(٤) أخرجه ابن ماجه مختصراً وابن أبي الدنيا بكماله بإسناد جيد.
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك.
(٦) أخرجه البيهقي.
(٧) أخرجه ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية.
(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا والحاكم بإسناد جيد.
(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا مرسلاً وإسناده جيد.

تعليق على رسالة

أوردت جريدة «الحياة» في ٩٧/١٠/٢٢ ص١٨ رسالة من جلال طالباني ردًا على شلومو نكديمون، جاء فيها:

السيد شلومو نكديمون

هكذا ترون انكم أدخلتم اسمي بخطأ عابر أو مقصود في سجل زوار السفارة الإسرائيلية في باريس ... لذلك أكرر رجائي بتصحيح هذا الخبر الباطل بأقرب فرصة ممكنة

وبهذه المناسبة أود بيان حقيقتين:

١. أنني لم أكن قط ضد العلاقة مع اليهود لكونهم يهوداً بل كان وما زال لي العديد من الأصدقاء اليهود بينهم...

٢. لم تعد العلاقة بين الكرد واليهود الإسرائيليين محرمة ومجرمة بعدما تطورت العلاقة الفلسطينية ـ الإسرائيلية، وبعد العلاقات الإسرائيلية ـ العربية المتعددة، ليس الأكراد ولا يمكن أن يكونوا ملكيين أكثر من الملك، ولا أكثر كثلكة من قداسة البابا نفسه.

وبالتالي فليس للأخوة العرب الحق في العتاب على كل نوع من أنواع العلاقة الكردية ـ اليهودية و(الإسرائيلية) بل لهم الحق إذا كانت العلاقة ضدهم أو متعارضة مع المنافع الحقيقية للأمة العربية الشقيقة.

والسلام على من اتبع الهدى

جلال طالباني

أرد أن أعلق على ما جاء في هذه الرسالة ـ المقال عدة تعليقات:

الأول: إن العلاقة بأفراد اليهود غير الإسرائيليين، وغير الداعمين لدولة إسرائيل بأي شكل من الأشكال جائزة في حدود ما أباحه الشرع لتحرم موالاتهم ويحل نكاح نسائهم... الخ.

الثاني: العلاقة بين الكرد واليهود الإسرائيليين لا زالت محرمة، لا كما قلت: لم تعد محرمة، فالذي يحلل ويحرم هو الله سبحانه، وليس الفلسطينيين ولا العرب ولا الكرد، وما نعلمه أن المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم لا زالوا يعتبرون إقامة وطن لليهود على أرض فلسطين الخراجية التي رقبتها لبيت مال المسلمين حرام وجريمة، وأن الاعواف بدولة لهم على أرض ائتمننا عليها الأجداد خيانة، لأن الخيانة هي تضييع الأمانة. وآخر جد وضع فلسطين أمانة بأيدينا هو صلاح الدين الكردي بعد أن حررها من الصليبيين، ولا زال الأكراد يسكنون مدن الشام ولهم فيها أحياء كدمشق والخليل.

الثالث: ليس كل الفلسطينيين ولا كل العرب تطورت علاقتهم واعترفوا بدولة إسرائيل، فالتعميم ظلم لأكثريتهم الرافضة لكل صلح دائم ولكل اعتراف، فهم كبقية إخوانهم من الأكراد والفرس والهنود والترك والبربر وغيرهم يرفضون هذه العلاقة وينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذي يجمع الله هذه الأمة على خيرها نفساً يقودهم إلى ساحات الجهاد تحت راية العُقاب. أما الذين خانوا أماناتهم فهم قلة من الكبراء وأعوانهم ممن باعوا أنفسهم للشيطان، ورضوا بالقعود والركون إلى الذين ظلموا وجعلوا للكافرين عليهم كل سبيل، ووالوا أعداء الله من المستعمرين الكفار.

الرابع: لماذا لا يكون الكردي المسلم أكثر إخلاصاً وأشد تمسكاً بدينه وأكثر محافظة على أمانته من الفلسطيني أو العربي الخائن. ولا أقول ملكياً أكثر من الملك أو أكثر كثلكة من البابا. اللهم إلا إذا كان من جنسهم، ويفكر بطريقتهم، فلا اقتداء بالخيانة ولا بفعل الحرام، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

الخامس: التقديس هو منتهى الاحترام القلبي، والمسلم لا يقدس إلا ما أمره الله سبحانه بتقديسه والبابا ليست له قداسة.

(التتمة ص١٥)

الخطأ السياسي

الخطأ السياسي هو القيام بأعمال سياسية لا تؤدي إلى تحقيق الغايات السياسية المرجو تحقيقها.

والخطأ السياسي يتفاوت أثره على القوى السياسية وعلى غاياتها السياسية تبعاً لنوع الخطأ السياسي وصفته، فإن تعلق بالأسس المبدئية والقضايا المصيرية فإنه خطأ قاتل ومميت للقوى السياسية، وبالتالي ماحق لغاياتها، وإن تعلق بالقضايا الاستراتيجية والمسائل الإدارية رسماً وتنفيذاً، فإنه مَرَضٌ للقوى السياسية، وبالتالي معوق لها عن تحقيق غاياتها.

والخطأ السياسي في أصله يرجع إلى الخطأ في التفكير السياسي، والأسباب العملية التي تؤدي إلى الخطأ السياسي هي:

أولاً: الخطأ في فهم الواقع السياسي، وهذا الخطأ يترتب عليه كافة الأخطاء المتعلقة بعلاجه وسبل تنفيذ العلاج عملياً، فمثلاً: الواقع السياسي للعالم الإسلامي لم تفهمه معظم الحركات الإسلامية، ما أدى إلى جعلها تخلط بين الأعمال الحسنة والأعمال السيئة، ولا تقوم بالأعمال السياسية الصالحة التي من شأنها تحقيق الغاية، وهي تغيير الواقع في العالم الإسلامي، وإخضاعه لحكم الإسلام عن طريق اتباع نهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فأضحت هذه الحركات تدور في حلقة مفرغة تارة، وتُسَخّر ضد الإسلام وأهله دون وعي تارة أخرى. فالخطوة الأولى في علاجها هي جعلها تتلمس حقيقة الواقع وتدركه بعمق، وتبصر مكنونه وما حوله، لتتمكن من تشخيصه بدقة. وهذا الأمر يستلزم رفع مستوى التفكير لديها في فهم الواقع الإسلامي، ثم تأتي الخطوة الثانية، وهي العمل على جعلها تتفهم الإسلام السياسي بعمق، لكي تبصر حقيقة الإسلام بفكرته وطريقته. ولما كان للوقت قيمته التي لا تقدر بالذهب والفضة، كان بُدّ من تجسيد الإسلام فيها، والتركيز على العناصر المخلصة والمؤثرة فيها، والتي تتسم بسمة القوة في الفهم، والأمانة في تأدية رسالة الإسلام، فتقوم هذه العناصر بمهمة تجسيد الإسلام في أعضاء هذه الحركات، بعد أن يتجسد فيها، فيسهل بذلك جعل هذه الحركات تعمل بالنهج الصحيح وتنجذب للحزب الصحيح.

ثانياً: الخطأ في فهم الفكر السياسي المبدئي بعمقه واستنارته، هذا الفكر الذي يعالج الواقع أو يحدد الغاية المبدئية التي يجب تحقيقها، والذي ينير خط السير في الأعمال السياسية التي تؤدي إلى تحقيق الغاية مهما طال الزمن أو قصر تبعاً لعظم الغاية أو بساطتها.

ثالثاً: الخطأ في تنفيذ الفكر المبدئي، ومن التنفيذ حمل هذا الفكر للناس. والخطأ في التنفيذ والحمل قد ينجم عن الخطأ في الفهم أو عن اتباع الهوى المخالف للفكر ومنه انعدام الإخلاص الخالص لهذا الفكر.

رابعاً: الخطأ في رسم الاستراتيجيات أو تنفيذها، وهذا ينتج من عوامل عِدّة أهمها: الخطأ في اختيار من يرسم الاستراتيجيات. وعليه فالخطأ في اختيار الرجال لا يقل خطورة عن الخطأ في فهم الأفكار والأشياء والأحداث. ومن هنا لابد من التركيز على فهم الرجال وسبر أغوارهم ومعرفة واقعهم وصفاتهم بدقة عالية، ولابد من تحديد المواصفات اللازمة لطبيعة المسؤوليات الملقاة على عاتقهم، وتوفر هذه المواصفات فيهم، ومعرفة توجهاتهم.

وعلاج الخطأ السياسي لا يكون إلا بالفكر المستنير الذي يشخص الواقع ومشكلاته وأسبابها وظروفها، ويحسن فهم الإسلام وتنفيذه وحمله، ويحسن اختيار الرجال الذين يرسمون التي ترسم السياسات الإبداعية وينفذونها. ومع ذلك كله فارتكاب الخطأ السياسي أمر طبيعي، ولكن الأمر غير الطبيعي هو ارتكاب الأخطاء القاتلة أو عدم إدراك الأخطاء في الوقت المناسب وتشخيصها بدقة، أو عدم اتخاذ الإجراءات

المناسبة لعلاجها. وعليه فحسن العمل السياسي ضمن ما تتسع له الطاقة البشرية يستلزم إدراك مواطن الخطأ السياسي، والعمل على تجنبها ومعالجتها وفق المفاهيم السياسية المبدئية، وضمن الاستراتيجيات العلاجية والوقائية.

والقوى السياسية المؤثرة تستهدف تشخيص الأخطاء السياسية للقوى السياسية المعادية والمنافسة لها، وتعمد إلى تعميقها وترسيخها لتتمكن من ضرب سياساتها وتبديد أعدادها، وتعمد أيضاً إلى إيقاعها في الأخطاء السياسية، وتزجها لذلك زجاً بحنكة وذكاء، فالحلفاء في الحرب العالمية الثانية قد تنفسوا الصعداء حين وقع هتلر في الخطأ الاستراتيجي، وهو نقضه لاتفاقه مع روسيا ثم شنه الحرب عليها، فكان هذا الخطأ السبب الرئيسي لما جرى لهتلر وألمانيا بعد ذلك من مصائب وكوارث. وروسيا قد ارتكبت الخطأ الاستراتيجي والمبدئي حين وافقت على التنسيق مع أمريكا من خلال هيئة الأمم بشأن إنهاء الاستعمار العسكري، وحين لم تستمر في سياسة المواجهة ضد الاستعمار الجديد وضد من يقوده ويتزعمه، وأمريكا قد كررت نفس الأخطاء حين كانت تسعى لتنفيذ استراتيجيتها، فهي كانت تعمد إلى طرح أفكارها العامة، وتسعى لتنفيذها قبل أن توجد الظروف المناسبة لهذه الأفكار. وفرنسا في عهد ديغول قد ارتكبت الخطأ الاستراتيجي حين لم ترسم وتنفذ السياسات الوقائية لدرء الأخطار المتوقعة عليها نتيجة سيرها بالسياسة المؤشرة والفعالة القاضية بضرب الدولار كعملة دولية، ما جعلها لا تستمر بهذه السياسة وتذعن لأمريكا. كما أن بريطانيا لن تهدأ حتى تتمكن من النجاح في استغلال الخطأ الاستراتيجي الذي وقعت فيه أمريكا، وهو الإبقاء على الحلف الأطلسي وتوسيعه، فهي تعمد إلى زج أمريكا بحرب كبرى تضعف من مركزها العالمي لتتمكن من التأثير في السياسة العالمية.

والقوى السياسية في العالم الإسلامي باستثناء شعوبه والحركات الإسلامية المخلصة، لا تقوم على أسس مبدئية، فالحكام والأوساط السياسية والحركات السياسية غير المخلصة وغير الإسلامية، قد ارتكبت الأخطاء القاتلة، والمعيقة. وهذا الأمر يستلزم دوام خوض المعارك السياسية ضد القوى السياسية المعادية للإسلام على أسس مبدئية ووفق استراتيجيات هادفة. وبحركات مقصودة تعتمد على حسن فهم الإسلام وتنفيذه وحمل دعوته، وعلى الفكر المبدع، وعلى الحقائق التاريخية والفكرية والسياسية والقواعد الصلبة، فإلى المعارك السياسية ضد الكفار وأعوانهم من الحكام والحركات تدعوكم يا حملة الدعوة الإسلامية □

عبد الفتاح الشامي

⇦ تتمة صفحة ١٣

السادس: إن العرب (أعني المسلمين منهم) الذين لم يعترفوا بإسرائيل ولم يقروا الصلح الدائم معها واعتبروه خيانة فهم الحق في نصحك ومحاسبتك وردعك عن المنكر الذي تقوله وتفعله.

وتذكيرك بأن فلسطين وفيها الأقصى ليست للفلسطينيين ولا للعرب وإنما هي للمسلمين. وقد تعدى من اعترف لليهود بها على جميع المسلمين، تماماً كشمال العراق فإنه ليس للأكراد والعرب وحدهم بل هو كفلسطين أرض وقفها ليست مال المسلمين. والأصل الذي لا مراء فيه، أن كل البلدان الإسلامية لا حدود بينها ويجب أن يحكمها خليفة واحد، لتتحقق بذلك جماعة المسلمين. واليهود التي يبذلها الكرد والفلسطينيون والأفغان والهنود والجزائريون وغيرهم من أمة الإسلام يجب أن تنصب في هذا الأمر حتى يقيموا خليفتهم ويكوّنوا جماعتهم، وقد آن لهم أن يدركوا أنهم يعثرون جهودهم، ويهدرون طاقاتهم. ولا يحققون إلا مزيداً من الشقاق والفرقة، وزرع العداوة بين شعوب الأمة الواحدة وتمكين عدوها منها. نسأل الله أن يهدينا إلى والطاعة □

عبدالرحمن [illegible]

العهدة العمرية

لما حضر أبو عبيدة ﷺ لفتح بيت المقدس، طلب أهلها منه أن يصالحهم، وأن يكون المتولي للعقد الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فشد عمر الرحال لتسلم بيت المقدس.

وكان عمر يسير إلى بيت المقدس ومعه خادمه يتناوبان على ركوب الراحلة، فلما دنوا من بيت المقدس كان دور خادم عمر في الركوب، وكان عمر يمشي، فمر على ماء وطين فرفع ثوبه، فقال له أبو عبيدة في ذلك خشية أن يستصغره أهل بيت المقدس، فقال عمر قولته المشهورة: (يا أبا عبيدة، لقد كنا قوما أذلة، فأعزنا الله بالإسلام، وإذا أردنا العزة بغير الإسلام أذلنا الله) هكذا كان ردّ من ذهب ليفتح بيت المقدس، إنه يفتحه بالإسلام ويعتز بالإسلام، ويدرك تمام الإدراك أنه لولا الإسلام لكان عمر لا يزال في مكة يصنع الصنم من تمر فيعبده وإذا جاع أكله.

لم يكن عمر للسطينيا الفخر بوطنيته، أو عربيا اعتز بعروبته، بل كان مسلما أعزه الله بالإسلام ففتح به بلاد الله الواسعة وحكم الناس بالحق والعدل وساد دولة جمعت الناس بمختلف أجناسهم وأعراقهم.

ثمّ دخل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلسطين فاتحا وأعطى أهل بيت المقدس الأمان، فيما سمي بالعهدة العمرية وهذا نصها: (بسم الله الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ـ وإيلياء هي القدس ـ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ـ نعم أبها المسلمون، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ـ وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم ، ومن احب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا أمنهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمس عشرة).

إن ما ذكرناه ليس حلما أو أمنية، كما أنه ليس أسطورة من نسج الخيال، بل هو الحق والحقيقة، إنه الواقع الذي عاشه المسلمون، إنه الحكم الشرعي الذي شرعه الله تعالى في شأن بيت المقدس، وهو عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين التي التزم بها الخلفاء والمؤمنون من بعد عمر ﷺ.

والإسلام ينظر إلى الأرض التي تفتحها دولة الخلافة على أنها أرض إسلامية، يجب الحفاظ عليها ويحرم التفريط بها، ولو أدى ذلك إلى سفك الدماء وزهق الأرواح في سبيل المحافظة عليها.

أدركوا ذلك تمام الإدراك والمسلمون بعد العهدة العمرية راحوا لحافظوا على مسرى رسول الله ﷺ وذادوا عنه بكل ما يملكون، ولم يقبلوا أن يفاوضوا على بلادهم. وبعد أن احتل الصليبيون بيت المقدس لم يقبل أحدٌ من المسلمين أن يفاوضهم عَلَيْهِ بل تركوه بأيديهم وظلوا يعدون العدة حتى يتمكنوا من تحريره، وظلوا على ذلك إلى أن أتى القائد صلاح الدين الأيوبي فحرر القدس من دنس الكفّار.

والكفار، يدركون ذلك جيدا ويفهمونه حق

(التتمة ص١٧)

وجهة نظر

لكي لا يتأتى للقوى السياسية المعادية للإسلام وأهله ودولته الإحساس بحقيقة الفخاخ الدولية التي تنصبها لهم دولة الخلافة، أو إدراك حقيقة محتوى وأبعاد الاستراتيجيات التي ترسمها، يمكن اتباع الاستراتيجية الآتية:

أولاً: حسن اختيار راسم السياسة، وجعله يعيش في منطقة الظل السياسي، ولا يظهر في منطقة الضوء البتة، وحسن الاختيار يكون باتصافه بصفة القوة والأمانة، والقوة بالنسبة له تعني قوة الفهم للوقائع والمعلومات السياسية، وقوة الربط بينهما، والأمانة تعني الحرص على الإسلام ودولته وأمته وحزبه دون الحيد عنه، وهو الذي يرشح للخليفة الوسيط السياسي عن طريق الإحساس بواقعه وبتوفر الصفات اللازمة فيه، وهي لا تقل عن مواصفات راسم السياسة، علاوة على تفوقه على أصحابه من السياسيين في القدرة على سبر أغوار القوى السياسية المعادية، وتلمس ما يجول في أذهانهم وما يتحرك في داخلهم من نوايا ودوافع.

ثانياً: حسن اختيار منفذي السياسة وهم:

١. الوسيط السياسي: وهو الوسيط بين راسم السياسة وبين السياسي العملي الذي ينفذ السياسة بشكل مباشر، وهذا الوسيط يقوم بمهمة تزويد راسم السياسة بالمعلومات اللازمة ومنطقة الظل، وهذا الوسيط يقوم بمهمة تزويد راسم السياسة بالمعلومات اللازمة لرسم السياسات، وبالمعلومات عن السياسيين العمليين، وهو الذي يرشح بعضهم للخليفة عن طريق إحساسه الفكري بواقعهم، ويقوم بالطلب منهم القيام بأعمال سياسية معينة وفق توجيهات راسم السياسة، دون أن يدرك محتوى ما يرسم وأبعاده، ودون أن يتفطن لهم ذلك، ويقوم بمصاحبة السياسيين العمليين لتفهم الواقع السياسي والإحساس به، ومتابعة ما يقومون به من أعمال سياسية ومدى نجاحهم فيها، وتبصر مواطن الخطأ والعمل على معالجته بسرعة، على أن يلتزم بالصمت والسكون السياسي بشكل دائم فيما يتعلق بالسياسة من ناحية عملية.

٢. السياسي العملي: وهو الذي يعيش في منطقة الضوء لمباشرة تنفيذ السياسات المبدئية والاستراتيجية، دون أن يدرك محتوى الاستراتيجيات وأبعادها، بل ينفذ ما يطلب من أعمال استراتيجية بناءً على الثقة المطلقة والطاعة المطلقة لمن يرسم الاستراتيجيات حتى لو لم يعرفه ولم يعرف أهداف الاستراتيجيات ومضمونها. وترسيخ الثقة والطاعة تتم عن طريق الوسيط السياسي بشكل دائم. وحتى القوة والأمانة لابد أن تتوفر في السياسي العملي، إلا أن مدلول القوة والأمانة بالنسبة له تختلف بحسب طبيعة المسؤولية الملقاة على عاتقه، والقاسم المشترك الوحيد للسياسيين العمليين هو حسن فهم الإسلام وتنفيذه وحمله ولابد من دوام سقيهم بمفاهيم الإسلام السياسية، ودوام دفعهم نحو الجانب العملي المتعلق بهم، وتنمية الإبداع لديهم من ناحية إدارية فيما يتصل بأعمالهم □

⇦ تتمة ص١٦

الفهم، فهم يعرفون حكم الله في أرض الإسلام، وهم يعلمون أن القدس أرض إسلامية وأن المسلمين لن يتنازلوا عنها أبدا، وما فعله بهم المسلمون في الحروب الصليبية ما زال في أذهانهم، وحمد أجدادهم علينا ما زال في قلوبهم.

عندما سأل صحافي موشيه دايان بعد ما يسمى بحرب ٦٧ قائلا له: إن المسلمين لديهم حديث عن رسولهم مُحَمَّد يقول إنهم سيقاتلون اليهود وسيقتلونهم فما رأيك. أجاب دايان قائلا: هذا الكلام صحيح ولكن ليسوا هؤلاء أولئك المسلمين ولسنا نحن أولئك اليهود. فهم يعرفون جيدا أنهم مهما حاولوا أن يطبّعوا العلاقات ويظهروا بالمظهر الحسن للمسلمين فإنهم لن يستطيعوا أن يمسحوا الآيات ولا أن يزيلوا الأحاديث ولا أن يدمروا الأحكام الشرعية، التي تبيّن لنا حقيقتهم □

جبريل رجوب

نشرت «الحياة» في ٩٧/١١/١١ أن أميركا دعت جبريل رجوب رئيس الأمن الوقائي في الضفة الغربية في سلطة عرفات، دعته في الأسبوع الأخير من شهر تشرين الأول ١٩٩٧ لمخاطبة لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب الأميركي. وقد اجتمع مع النائب بنجامين غيلمان وحوالي عشرة من الأعضاء، كما قابل دنيس روس ومساعدين آندبك ومجموعة من اللوبي الرسمي (إيباك). وكان واضحاً أنهم يختبرونه ليقرروا إذا كان يصلح لهم □

شهادات منشأ

في الجلسة التي عقدها مجلس عرفات التشريعي في ٩٧/١٠/١٥ صرح وزير الزراعة عبد الجواد صالح أن موظفين كباراً في وزارته (ذكر أسماءهم) يزوّرون شهادات منشأ فلسطينية لتسويق الإنتاج الزراعي الإسرائيلي وخاصة الخضيات إلى الأردن والبلاد العربية. وقال بأنه لم يستطع إيقاف عمليات التزوير التي يقوم بها هؤلاء الموظفون لأن لهم سنداً داخل سلطة عرفات □

إذاعة مونتي كارلو

قام مدير إذاعة «مونتي كارلو» كريستيان شاربي بفصل عدد من صحافيي ومذيعي الإذاعة وتعيين بدل منهم. وقد وزع الثمان من المفصولين (فريدة شوباشي وأحمد برّو) نشرة ينتقدان فيها تصرف المدير وينهمانه بالطائفية، إذ عين رئيساً جديداً للتحرير هو بشارة البرن الذي أشار على شاربي بفصل مجموعة من المسلمين وتعيين موارنة بدلاً منهم. وكان شاربي صرّح في لبنان الماضي إلى نشرة (C.B.News) أن في الإذاعة تيارين رئيسين: لبناني ماروني وإسلامي للسطيق □

مهاتير واليهود

مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا اتهم المضارب الأميركي اليهودي جورج سوروس بأنه المتهم رقم واحد في هبوط العملة الماليزية بسبب مضارباته. وقام المؤتمر اليهودي العالمي بتقديم شكوى إلى منظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ضد مهاتير محمد واتهمه بأنه يحتقر اليهود. ويحاول المؤتمر اليهودي أخذ تأييد الفاتيكان والمجلس العالمي للكنائس لإدانة أقوال مهاتير محمد. وهذا تطبيق للمثل «ضربني وبكى، وسبقني واشتكى» □

اليهود والسلاح

في ٩٧/١٠/١٨ نشرت صحيفة «جورنال دو جنيف» الدولية تقريراً يعتبر إسرائيل في المرتبة الخامسة في تصدير الأسلحة بعد الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وبريطانيا. وذكر التقرير أن أستونيا وليتوانيا وأوكرانيا وجورجيا وكازخستان أبرمت صفقات أسلحة مع إسرائيل التي تعتبر المصدر الرئيسي للأسلحة إلى تلك البلدان. وقد تم توقيع عقد مبدئي بين بولندا وإسرائيل قيمته بليون دولار.

وقالت الصحيفة: إن مصانع إسرائيل تقدم نماذج متطورة من صواريخ جو-جو وجو-أرض ومن تحديث الطائرات النفاثة والطائرات المروحية القتالية. وقالت بأن هجرة ما يزيد عن ١٢٠ ألف عالم من الاتحاد السوفياتي السابق إلى إسرائيل ساعد كثيراً في تطوير صناعتها من الأسلحة.

«الوعي»: أين دول العرب والمسلمين من التصنيع وهم أكثر عراقة ومالاً وقدرات! □

اليهود يتحاربون؟

نشرت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية في ٩٧/١١/١٤ نتيجة استطلاع أجراه معهد «غالوب» بشأن وقوع حرب أهلية بين اليهود في إسرائيل. ٥٦ في المائة من الإسرائيليين يعتقدون أن إسرائيل ستشهد قريباً حرباً أهلية بين الأشقاء اليهود في مقابل ٢١ في المائة يعتقدون أن إسرائيل موحدة.

وقد برزت الانقسامات بشكل جلي في الذكرى الثانية لاغتيال رابين الذي اغتاله متطرف يهودي في ٩٥/١١/٠٤، ما دعا وزير الأمن الداخلي كهلاني ووزير البنى التحتية شارون إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية لتلافي الاقتتال الداخلي □

عبد الشافي يصف السلطة

في مقابلة مع حيدر عبد الشافي نشرتها «الحياة» في ٩٧/١٠/٢٠ قال: «لم يعد هناك معنى لسيادة القانون والعدل والاستقامة، ولباقي المفاهيم الأخرى... وقد أصبحنا في وضع كما لو أن الناس تتسابق على الكسب المادي من دون أية ضوابط أو معايير، كما تكشف ذلك كله في تقرير هيئة الرقابة العامة. وبدا كما لو أن هناك جهة متميزة تستأثر بالمال والمسكن والمظاهر الأخرى للتنعم، بينما غالبية كبرى من المواطنين تشكو الفقر والفاقة والبؤس الكبير».

وأضاف: «هناك اليوم مطالبة للسلطة التنفيذية بإحداث تغيير وزاري، وتقديم المخالفين في قضايا الفساد إلى النائب العام. لكن التحدي

الذي واجهه المجلس كان يتمثل بعدم الاكتراث بقراراته وتوصياته» □

حاجة الغرب للإسلام

الدكتور لندن بروك هو ممثل لجنة تمثيل المسلمين في بلجيكا كان في زيارة للقاهرة (٩٧/١١/٢٠)، حيث أجرت بعض الصحف معه مقابلات، ومن جملتها طرحوا عليه السؤال: «هل من الممكن قيام حوار حضاري متوازن بين العالم الإسلامي والغرب»؟ وكان جوابه: «إقامة حوار حضاري بين الغرب والإسلام أمر ممكن. فنظرة الغرب إلى الإسلام تحسنت منذ قرن، وكثير من الغربيين يدخلون الإسلام، خصوصاً في ظل ما يسمى بموت الأيديولوجيات. الغربيون من قبل كانوا يؤمنون بالأيديولوجيات، وقد بدأ هذا الإيمان يضعف ويموت. والغرب يحتاج إلى حلول لمشاكله الخلقية والاجتماعية ولن يجد ذلك إلا في الإسلام □

سيلايجيتش وأمريكا

تردد أقوال في سراييفو عاصمة البوسنة عن وجود خطة باسم «دايتون ـ٢» يجري بموجبها تعديلات على الحدود التي رسمها اتفاق دايتون. المسؤولون البوسنيون يرفضون هذه التعديلات. ولذلك سارع حارس سيلايجيتش في السفر إلى واشنطن واجتمع مع المبعوث الأمريكي الخاص إلى البوسنة روبرت غيلبارد وغيره من المسؤولين الأمريكيين.
«الوعي»: هذا يشير إلى أن زعماء المسلمين في البوسنة يتبعون التوجيهات الأمريكية □

أمريكا وأفغانستان

مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون جنوب آسيا (كارل أندرفورث) أكد في شهادته أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ في ٩٧/١٠/٢٢ أن استمرار النزاع في أفغانستان سيزيد في صعوبات الهدف الأمريكي «الداعم للاستقرار» في منطقة آسيا الوسطى، و«استمرار القتال سيعرقل عملية تطوير موارد الطاقة وطرق التجارة» سواء عبر أفغانستان أو عبر دول المنطقة.

وأضاف أن واشنطن تقف على الحياد بين مختلف الفئات، وأنها تدعو إلى وقف النار في المدى القصير، وإلى قيام حكومة أفغانية متعددة الإثنيات في المدى البعيد.

«الوعي»: هذا يعني أن أمريكا لا تريد أن تسيطر طالبان (البشتون) على جميع أفغانستان، بل تريد أن تصبح أفغانستان اتحاداً بين عدة إثنيات وكل إثنية لها نفوذ في جهة □

المكيالان وحقوق الإنسان

حين قامت الثورة (الخميني) في إيران سنة ٧٩ وحاولت فرض الحجاب على النساء، قامت الجمعيات في بلاد الغرب التي تدعي أنها ترعى حقوق الإنسان، قامت كلها ترفع الصوت بأن فرض الحجاب هو اعتداء على حرية النساء وانتهاك لحقوق الإنسان.

والآن هناك عشرات الآلاف من الفتيات في المدارس والجامعات في تركيا يردن أن يلبسن اللباس الشرعي (الحجاب) استجابة لمعتقداتهن. ولكن الحكومة التركية (العلمانية) تمنعهن من ذلك. وتهددهن بالطرد. وكذلك تطرد كل موظفة في دوائر الدولة إذا لبست الحجاب.

فلماذا لم يرتفع صوت جمعيات المحافظة على حقوق الإنسان وحريته هنا، وارتفع هناك؟!

الجواب معروف. إذ حين ينسجم الأمر مع هوى هذه الجمعيات ترفع صوتها، وإلا تبقى خرساء. وحقوق الإنسان ليست سوى شماعة يعلقون عليها أهواءهم □

الفاتيكان والقدس

الفاتيكان تسلم البابا أوراق اعتماد السفير المغربي في ٩٧/١٠/٢٥ أعرب عن «قلقه الشديد» إزاء الوضع في القدس، ودعا إلى حل يحفظ حقوق جميع الطوائف، وقال إن «حواراً صادقاً سيتيح التقدم على طريق العدالة والحقوق المشروعة لجميع الطوائف المعنية» بمستقبل القدس.

«الوعي»: قلق البابا ناجم عن فقدان ما كان يطمح إليه من تدويل القدس وفقدان أن يتمتع بسائي نفوذ في القدس. إذ إن اتفاق أوسلو حصر التفاوض على الوضع النهائي للقدس بإسرائيل والسلطة الفلسطينية □

على غرار بورتوريكو

عرفات يقول بأنه سيعلن دولة فلسطينية سنة ٩٩، مع العلم أنه كان أعلن دولة سنة ٨٨ في مؤتمر الجزائر! نتانياهو يقول بأنه يمكن أن يوافق في الحل النهائي على «دولة تابعة» على غرار «بورتوريكو» تبقى شؤونها الأمنية وعلاقاتها الخارجية في أيدي إسرائيل. وقالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية في ٩٧/١٠/٢٧ إن الأفراح «تمنح الفلسطينيين علماً وبطاقات هوية وعملة خاصة بهم في مقابل الاحتفاظ بالإشراف الكامل على مسائل الدفاع والخارجية» □

التقوى هي البرّ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿. . . وليسَ البِرُّ بأن تأتوا البيوتَ من ظُهورِها ولكنَّ البِرَّ من اتّقى وأتوا البيوتَ من أبوابِها واتّقوا اللهَ لعلكم تُفْلِحون﴾ [سورة البقرة ١٨٩].

جاء في الصحيحين عن البراء - رضي الله عنه - قال: كان الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت، فجاء رجل منهم فدخل من قبل بابه، فكأنه عير بذلك. فنزلت ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها...﴾.

الشاهد المهم في الآية ترتيب الكلام. ينتظر الإنسان حين يسمع قوله تعالى: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، أن تكون تتمة الآية مباشرة: ولكن البر أن تأتوا البيوت من أبوابها. ولكن الخالق يريد أن يعلمنا أن البر ليس اتباع ما يراه الإنسان بعقله براً. ولكن البر أولاً وأخيراً هو تقوى الله، أي مخافة الله وطاعته. هذا هو جوهر الإسلام وحقيقته الخالصة: اختبار الإنسان في طاعة الله.

هذا ما يعجز عن فهمه كثير من علماء المسلمين اليوم الذين يحوّرون هذا الجوهر الناصع للإسلام ليجعلوه متمثلاً في المصلحة والمنفعة محاكاة للغرب وتأثراً به، مع أن كثيراً من آيات القرآن تؤكد على هذه الحقيقة صراحة واعتباراً. فهذا إبراهيم عليه السلام يؤمر أن يذبح ولده. فيمتثل الأب والابن مطيعين. أين المصلحة في ذلك؟ ليس في ذلك إلا الفساد الظاهر، لكن البر من اتقى وليس من تبع هواه. وحينئذٍ تتجلى المنافع الدنيوية للائتمار بأمر الله. بعد أن يسلم المؤمن لأمر الله ويمتثل له، تظهر له المنفعة الحقيقة لأمر الله كما حصل مع إبراهيم عليه السلام: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾. وقد لا تظهر هذه المنفعة عاجلاً، وقد لا تظهر أبداً، ومع كل ذلك يبقى البر من اتقى.

وكذلك قل عن قصة نبي الله موسى مع الخضر عليهما السلام التي رويت في سورة الكهف. وحدث عن القوم اليهود الذين احتالوا على شرع الله ليصطادوا يوم السبت وقد حرّم عليهم. أين المنفعة في تحريم الصيد يوم السبت وحيتانهم لا تأتيهم إلا يوم يسبتون.

لا شك أنه ما من موعظة وحكمة تستخلص من هذه الآيات، إلا أن الله تعالى مبتلينا بأوامر ونواهٍ قد لا نفهم نفعها لنا، ومع ذلك علينا أن نكون أبراراً بأن نتبع هذه الأوامر ونمتنع عن هذه النواهي ولا نخشى إلا الله ولا نلتفت إلا إلى طاعة الله ليكون هذا هو محور أعمالنا في هذه الحياة.

هذه القصص آيات بينات جليات لمن أراد أن يبحث عن البر الحقيقي بعيداً عن بهارج الغرب وزخارفه.

إذاً ليس تفصيل الحكم مهماً بقدر أصل الحكم الذي يريد الله أن يجعله في قلب كل مسلم، وهو أن البر من اتقى. ولذلك قدم ذكر هذه الحقيقة الإيمانية الجوهرية على الإجابة عن المسألة الفرعية.

يجب علينا نحن حملة الدعوة (نسأل الله أن نكون من مخلصيهم) أن نفهم هذه الحقيقة ونعيها وعياً تاماً وأن نحشد لها الأدلة والشواهد من كتاب الله وسنة رسوله (وما أكثرها) وهي أن الله مبتلينا في هذه الدنيا بأوامره ونواهيه. فإما أن نصبر ونطيعه، فيجزينا بما صبرنا جنةً وحريراً، وإما أن نتمرد ونداور كما فعلت يهود للتملص من تبعة هذه الأوامر والنواهي، فيجزينا سلاسلَ وأغلالاً وسعيراً، نعوذ بالله من ذلك.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يفهمون البر ويتبعونه ويحرصون عليه، وأن يجعلنا ممن يتقون الله ويراقبونه في أعمالهم صغيرها وكبيرها □

صحة عرفات وخلافته

الأجهزة الأمنية تُعدُّ لتسلُّم الحكم، وخطر مواجهة مسلحة واغتيالات

في ٩٧/١١/١١ كتبت جريدة «الحياة» أخباراً عن صحة ياسر عرفات وعن الصراع المتوقع على السلطة في الضفة والقطاع، جاء فيها:

ذكرت مصادر من حركة «فتح» في السلطة الوطنية الفلسطينية أن الأجهزة الأمنية تعد لتسلم الحكم في الأراضي الفلسطينية بعد رحيل الرئيس ياسر عرفات، أولي حياته إذا انتكست صحته بما يمنعه من ممارسة الحكم، ولكن من دون أن يتخلى عن صلاحياته.

وقالت المصادر التي تحدثت إلى «الحياة» في نهاية الأسبوع أن جبريل رجوب، رئيس الأمن الوقائي في الضفة الغربية، يجري تحالفات سياسية، ويسلح أنصاره على نطاق واسع توقعاً لمعركة خلافة أبوعمار.

أما محمد دحلان، رئيس الأمن الوقائي في غزة، فيخطط لاستيلاء مماثل على السلطة في القطاع، إلا أن خصومه هناك أقوى من خصوم رجوب في الضفة، وبينهم العقيد موسى عرفات رئيس الاستخبارات العسكرية، والعميد صائب العاجز، رئيس الأمن الوطني، وغازي الجبالي، رئيس شرطة غزة الذي اتهمته إسرائيل بالتخطيط لعمليات ضدها. وكل من هؤلاء يطالب بدور بعد أبوعمار، أوبحصة، إدراكاً منه أنه لا يستطيع السيطرة على الوضع وحده.

وتوقعت المصادر «الفتحاوية» أن ينفجر الوضع خلال أشهر، وربما أخذ الانفجار شكل اغتيالات متبادلة. وقد أصبح المجلس الثوري لـ «فتح» يجتمع دورياً في غزة لمراقبة الوضع، وترتيب أوضاع الحركة تحسباً لمواجهة محتملة قادمة. كما بدأت توزع بيانات متعارضة، تهاجم السلطة أوالأجهزة.

ويعتبر غسان الشكعة، رئيس بلدية نابلس وعضواللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، الحليف الأساسي لرجوب في محاولة السيطرة عسكرياً على الضفة بعد أبو عمار. وفي هذا المجال، لصفقات السلاح زادت، والهدف توزيع السلاح على أنصار رجوب ليكونوا على استعداد للمواجهة. وقد ضبطت في رام الله أخيراً صفقة قدرت قيمة الأسلحة فيها بحوالي ٣٠ ألف دينار أردني.

ولكن المصادر لاحظت أن الوضع قد لا يحتمل البقاء على حاله إلى ما بعد رحيل أبوعمار، وهي لم تستبعد أن ينفجر خلال أشهر إذا قرر قادة الأجهزة أن الرئيس الفلسطيني لم يعد قادراً على الحكم لاعتبارات صحية، أوإذا قررت «فتح» نفسها اسحاق الأمور بضرب قادة الأجهزة وحلفائهم. كما أن إسرائيل تتابع الوضع باهتمام بالغ، وربما بدأت هي الاغتيالات للإيقاع بين الطرفين.

وقالت مصادر «فتح» أن السيد محمود عباس (أبومازن) هوالمرشح المنطقي لخلافة أبوعمار، وسيفوز بالرئاسة إذا رشح نفسه، مع احتمال ضعيف أن يرشح أبوالعلاء (أحمد قريع) نفسه. بل هناك من يطرح اسم السيد فاروق قدومي (أبواللطف)، رئيس الدائرة السياسية للمنظمة، ولكن يُبعده سنوات في تونس يجعل ترشيحه غير عملي، أوغير منطقي، ومثله السيد هاني الحسن فهو الآن في واشنطن، وربما جرب حظه، وأبومازن تضرر كثيراً من سمعة أولاده في «البزنس» في غزة، كما أن دحلان وخالد سلام، مستشار الرئيس عرفات، لهما نفوذ عليه لوجود مصالح خاصة بينهم جميعاً. ويسخر رجوب في مجالسه من أبومازن ويسميه «الخواجا صروف» من شخصية يهودي مسن في مسلسل رأفت الهجّان، وقد أبدى أبومازن غير مرة استياءه من فتح القناة السرية للمفاوضات بين أحمد قريع وإسحق ملخو.

التتمة ص ٢٦

المعارضة السياسية

يوجد في الإنسان طاقتان، الأولى: حيوية، والثانية: فكرية، والطاقة الحيوية تفعل بفعل المؤثرات الفكرية والخارجية والداخلية، فيتحرك هذا الانفعال متطلباً الإشباع الذي يتم عن طريق الأشياء والأفعال، وهنا يأتي دور الطاقة الفكرية التي تتحكم بالإشباع ونوعه وصفته، فيتم الإشباع وفق المفاهيم التي يتبناها الإنسان، بقطع النظر عن كون هذه المفاهيم واقية أم منحطة، ولما كانت المفاهيم التي تعتنقها القوى الفكرية والسياسية متناقضة ومختلفة، لذلك تكون مواقفها تجاه الأحداث والأشياء والأفكار متناقضة ومختلفة.

والإنسان تتفاوت فيه القوى الحيوية والفكرية، وهذا التفاوت بين البشر يؤدي إلى التفاوت بينهم في فهم الوقائع الفكرية والسياسية ونحوها، وإلى التفاوت في النظرة اليها، والموقف الذي يجب أن يتخذ نحوها. وعليه فتناقض المفاهيم، وكونها تتضمن بعض المتناقضات في بعض الفروع، وتفاوت القدرات الحيوية والفكرية، يحتم الاختلاف بين البشر ومنها القوى السياسية والفكرية.

فالمعارضة في الواقع: اختلاف بين المفاهيم نتج بسبب تناقضها أو بسبب تناقض فهمها، ويتفرع عنه اختلاف في المواقف بين البشر.

والمعارضة السياسية: هي خلاف بين المفاهيم السياسية يتفرع عنه خلاف في المواقف السياسية بين القوى السياسية.

والمعارضة الدولية: هي اختلاف في المفاهيم بين الدول الكبرى يتفرع عنه معارضة لمواقف الدولة الأولى، سواء جرى هذا الاختلاف داخل هيئة الأمم أم خارجها عن طريق المؤتمرات والقمم والأحلاف الدولية التي تتم بين الدول الكبرى، ولا يشترط أن يجري الاختلاف داخل مجلس الأمن، لأن هذا المجلس هو جسر تعبر من خلاله الدول الكبرى لتمرير سياساتها وإضفاء الشرعية عليها، وهو أحد الجسور، ولا يمثل الجسر الوحيد. فالمعارضة الدولية إبّان الوفاق بين أمريكا وروسيا في عام ١٩٦١ كانت منحصرة بهما، ولم يكن لفرنسا وبريطانيا أي دور في المعارضة الدولية، مع أنهما عضوان في مجلس الأمن، فالعضوية في المجلس لكل من بريطانيا وفرنسا والصين لم تجعل لهذه الدول أي تأثير في المعارضة الدولية.

إن القوى السياسية التي تريد المحافظة على كيانها السياسي من خطر المعارضة السياسية على إطلاقها، والمؤدية إلى شرذمة وتفكك هذا الكيان، وخلق الصراعات الداخلية فيه، والتلهي بها لتنحرف عن خط السير المؤدي إلى تحقيق غاياتها على المستويين المحلي والعالمي، تعمد هذه القوى لمعالجة هذه الأخطار، عن طريق تحديد المفاهيم السياسية التي تحفظ الوحدة، وتقضي على الاختلاف، وتحمي الكيان من الانهيار والفشل، وبالتالي تستمر في خوض غمار الصراع الفكري والسياسي مع القوى السياسية الخارجية المعادية لمفاهيمها من أجل القضاء على هذه القوى عن طريق القضاء على مفاهيمها، وبعد تحديد المفاهيم تأتي الخطوة الثانية وهي تبني هذه المفاهيم لتكون الرابط الذي يربط كيانها السياسي ويفرض الانسجام فيه، ليشكل هذا الكيان قوة سياسية مؤثرة مثيرة، ثم الخطوة الثالثة وهي ترسيخ هذه المفاهيم بالتلقي الفكري عمقاً واستمرارة، ليكون التبني قوة ذاتية لها، وعاملاً من عوامل خلق الإبداع في كيانها.

والمعارضة السياسية من زاوية فكرية تقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: معارضة مبدئية: وهي الاختلاف السياسي والفكري على أسس مبدئية، كالاختلاف بين الإسلام والكفر، فمفاهيم الإسلام لا يمكن أن تلتقي مع مفاهيم الكفر، فالديمقراطية والعلمانية والحرية المطلقة والرأسمالية والاشتراكية، ونحو ذلك من مفاهيم

الكفر لا يمكن أن تتفق مع مفاهيم الإسلام، والصراع بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم الكفر هو صراع دائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. والمعارضة المبدئية تحتم تبني سياسة المواجهة بشكل دائم ضد مفاهيم الكفر التي تصوغ المصالح ومنها الأهداف للقوى السياسية الكافرة سواء على المستوى المحلي أم الإقليمي أم الدولي.

الثاني: معارضة استراتيجية: وهي الاختلاف السياسي على أسس استراتيجية. ولما كان بناء الاستراتيجيات يستند إلى قواعد صلبة وأسس مبدئية، وهي خادمة لمصالح وأهداف المبدأ، لذلك قد يكون الاختلاف الاستراتيجي في بعض الأحيان راجعاً إلى اختلاف مبدئي، وفي هذه الحالة، أي: كون المفاهيم الاستراتيجية تتعارض مع المبدأ، يجب محاربتها وتبني سياسة المواجهة ضدها، ولكن ذلك لا يمنع من العمل على احتواء هذه الأفكار أو المفاهيم، والعمل على تغيير جوهرها لكي لا تتعارض مع المبدأ، بل مسخرة لخدمة المبدأ ومصالحه، ففكرة هيئة الأمم هي فكرة تتعلق بالاستراتيجيات الدولية ولا تتعلق بالمبدأ الرأسمالي، ولكنها في الوقت نفسه تستند إلى القانون الدولي الكافر، لذلك يجب محاربة هيئة الأمم بجوهرها الحالي، ولكن السير في سياسة المواجهة ضد هيئة الأمم لا يمنع من احتواء هذه الفكرة الاستراتيجية، عن طريق تغيير جوهرها وأبعادها ووسائلها والأساس الذي تستند إليه. وكذلك الحال بالنسبة لفكرة حقوق الإنسان، والرأي والرأي الآخر، والمعارضة، ونحو ذلك من الأفكار والمفاهيم التي يمكن أن تبنى على أسس لا تمس المبدأ، وعلى قواعد صلبة لخدمة المبدأ. وهذه الأفكار ونحوها يجب محاربتها ما دام الغرب يستخدمها وفق الأسس الرأسمالية، وما دامت القوى السياسية تطبقها عملياً وفق المفاهيم الغربية، سواء قبل قيام الخلافة أم بعدها. وعملية الاحتواء لهذه الأفكار من ناحية عملية تتم بعد قيام الخلافة لا قبلها، لأن إمكانية الاحتواء بالفعل تفتقر إلى وجود الخلافة. وإن لم تتعارض الأفكار الاستراتيجية مع المبدأ، ولكن يمكن أن تسخر لصالح الأعداء، فهذه الأفكار يمكن تبني سياسة المواجهة ضدها أو التمييع أو التجميد أو الاحتواء حسب مصلحة الدعوة والجهاد، وحسب طبيعة الظروف السياسية المحيطة بهذه الأفكار، وحسب إمكانات النجاح في انتقاء السياسة المناسبة أو في انتقاء عدة سياسات تطبق بمراحل زمنية مختلفة. فمثلاً فكرة تشكيل النادي الذي يضم الدولة الدائنة من العالم الغربي ومن المؤسسات الدولية، فهذه الفكرة إذا عرضت على دولة الخلافة، يمكن تبني سياسة التجميد نحوها بحجة فهم طبيعة الديون على العالم الإسلامي قبل قيام الخلافة، ثم يجري الطلب من الدائنين أن لا يعملوا ضد الخلافة، وأن يزيلوا استعمارهم.

والدول المؤثرة لا تقتصر على معالجة الأفكار الاستراتيجية التي تطرح من قبل الأعداء، بل تبادر في طرح الأفكار الاستراتيجية الدولية والإقليمية التي تهدد مصالح وأهداف الدول الكافرة وعلى رأسها الدولة الأولى - أمريكا، وتبادر إلى ذلك في التوقيت والظروف المناسبة.

الثالث: معارضة عرضية: وهي الاختلاف السياسي على أمور إدارية أو مبدئية فرعية لا تمس أصول المبدأ، والاختلاف الإداري، قد يتعارض مع المبدأ فيعامل مثل المعارضة المبدئية، وقد لا يتعارض معه فيعامل مثل المعارضة الاستراتيجية. والغرب الحاقد على الإسلام وأهله منذ أن انفرد في إصدار الأبحاث السياسية صار يسير في سياسة التضليل السياسي، وينظر إلى المفاهيم السياسية غير المبدئية نظرة تستند إلى مفاهيمه المبدئية وتخدم مصالحه وأهدافه المحلية والإقليمية والدولية.

فالمعارضة السياسية من وجهة نظره: رأي الأقلية السياسية المخالف لرأي الأكثرية، ويتجسد رأي الأقلية عادة في القوى السياسية المعارضة، ورأي الأكثرية يتجسد في الحزب الحاكم وأتباعه وأعوانه.

فالغرب قد اعتبر رأي السلطة هو الرأي الشرعي النافذ، وهو رأي أغلبية الشعب، أما الرأي الآخر فهو رأي الأقلية التي تقر بشرعية هذه السلطة، وتتفق معها في المبدأ الرأسمالي من ناحية الأسس، وتختلف معها في بعض الأمور الفرعية . وتستغل الأحزاب المعارضة هذا الاختلاف، وقد تتمنعه بهدف الوصول إلى السلطة، كما تمتص نقمة الفئة الغاضبة على السلطة، حين تتصدى لها في الأمور الفرعية، فهي كالسلطة تماماً من حيث الإيمان بالنظام المطبق وبالدستور والميثاق والمبدأ، فالاختلاف بينهما عرضي وليس مبدئياً، والفئة الرأسمالية هي التي تمكّن الحزب القلاني من الوصول إلى السلطة، فيكون هذا الحزب هو الحزب الحاكم، وتُبقي على الأحزاب الأخرى خارج السلطة لخدمتها ودعمها بوصفها أحزاب المعارضة.

وقد استغل الغرب مفهومه للمعارضة في بلاد المسلمين أقبح استغلال، فهو قد مكن عملاءه من الوصول إلى السلطة، وحرص على إبقائهم فيها، وإضفاء الشرعية على وجودهم في السلطة ، فشجع هؤلاء العملاء على تشكيل أحزاب معارضة والعمل على احتواء الأحزاب المناوئة للسلطة، وذلك عن طريق أفكار الحوار والمعارضة والتعددية والرأي والرأي الآخر، على أن تمارس العمل السياسي بالصورة التي تخدم عملاء الغرب، فلا تعمل على هدم الدستور أو الميثاق أو النظام المطبق أو تكشف مؤامرات وخيانات السلطة، بل تلهى في الأمور الفرعية، وتبرز رأيها من خلال مؤسسات السلطة، فتكون ضمن سيطرة السلطة السياسية، وبهذا تنجح السلطة في امتصاص نقمة الجماهير عليها عن طريق ما يسمى بالأحزاب المعارضة، وتكسب أيضاً الشرعية والدعم والمساندة، فتكون هذه الأحزاب من ركائز السلطة التي يجب كشفها وتعريتها أمام الأمة الإسلامية، حتى ولو لبست ثوب الإسلام وكان جوهرها خبيثاً يتآمر مع الكفار وأعوانه ضد الإسلام وأهله.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكافر وأعوانه من الحكام والسياسيين، يصفون الحركات الإسلامية التي تسير حسب المفهوم الغربي للمعارضة، وتخالف أحكام الإسلام، بالحركات المعارضة، أما الحركات الإسلامية التي تسير وفق مفاهيم الإسلام وتحاسب الحكام وتكشف تآمرهم وعمالتهم وخياناتهم وولاءهم وكفر معظمهم، فإنهم يصفونهم بالحركات المتطرفة والأصولية والإرهابية، لأنها لا تريد التفاهم والحوار والتعايش مع الأنظمة الكافرة، وتؤمن بأن الإيمان والكفر لا يلتقيان، لأن المسألة مسألة جنة أو نار، وتعمل لقلع الحياة الغربية من الجذور، وتستهدف هدم الدساتير والأنظمة الكافرة لتحل محلها الحياة الإسلامية عن طريق سيادة حكم الله وكتابه وسنة نبيه في الأرض، ويحاول عملاء الغرب والحكام من زعماء الحركات الإسلامية التذرع بذريعة تنبههم للمعنى الواقعي للمعارضة، وأنهم يستغلون الأوضاع الديمقراطية لخدمة الإسلام وأهله.

والجواب عن هذه الذريعة الرخيصة، هو أن استغلال الأوضاع الديمقراطية يجب أن لا يتعارض مع مبدأ الإسلام، كما أن السير حسب المعنى الواقعي للمعارضة يتطلب أمرين:

أحدهما: عدم السير وفق المفهوم الغربي للمعارضة، فلا تدخل الحركات الإسلامية في أي حوار أو تفاهم مع السلطة أو مع الدول الكافرة، ولا تقبل بنظام الدولة أو دستورها أو ميثاقها، وتعلن على رؤوس الأشهاد أن الأنظمة في العالم ومنه العالم الإسلامي أنظمة كفر، وحكم طاغوت. وكذلك حال دساتيرها وقوانينها ومواثيقها، ولا تلهى بالأمور الفرعية، بل تتصدى للحكام، وتكشف خطط الكافر ضد دين الله وأمة الإسلام، وتحاربها محاربة فكرية وسياسية بصورة قوية ومؤثرة، فلا تفكر أو تعمل على احتواء أو تمييع خطط الكفر، بل تحصر نفسها بسياسة المواجهة فقط، وتحاسب الحكام محاسبة وفق مفاهيم الإسلام، فلا تكتفي

بإبراز رأيها بل تضغط على الحكام عن طريق الأمة والقوى المؤثرة في الجيوش، وتحطم الركائز والوسائل التي تسند السلطة، حتى تثنيهم عما يقومون به من مؤامرات وخيانات، ثم تجتث عروشهم من القواعد والجدران والسقف، فلا تقبل أن تضع نفسها في زاوية الفئة الأقلية، ولا تقبل التوقيع على أفكار الكفر أو حتى على أحكام الإسلام، بل تطلب وتعمل على تطبيق أحكام الإسلام فقط بغض النظر عن الأقلية أو الأكثرية، فيجب عليها أن لا تسير حسب المفهوم الغربي للمعارضة.

ثانيهما: فهم حقيقة القوى السياسية المعارضة من ناحية عملية، وكيفية سيرها بالمعارضة حسب مفاهيم الإسلام.

فالقوى السياسية المعارضة من ناحية عملية على ثلاثة أنواع: حقيقية، مخادعة، خاطئة.

١. المعارضة الحقيقية: هي الموقف السياسي العملي الذي يتجسد في القوى السياسية إزاء المفاهيم التي تناقض مفاهيمها السياسية، فتعارضها وفق ما تتطلبه هذه المفاهيم.

٢. المعارضة الخادعة: هي عدم التلبس بالموقف السياسي العملي من قبل القوى السياسية تجاه المفاهيم السياسية التي تناقض مفاهيمها في الأسس والقواعد.

٣. المعارضة الخاطئة: هي عدم التلبس بالموقف السياسي العملي من قبل القوى السياسية تجاه المفاهيم السياسية التي تختلف عن مفاهيمها في الأمور الفرعية أو الاستراتيجية أو الإدارية.

ولنأخذ أمثلة توضح كيفية سير القوى السياسية المعارضة من ناحية عملية حسب مفاهيم الإسلام:

١- إن موقف الإسلام من أفكار الكفر واضح في كتاب الله وسنة رسوله، فهجوم الإسلام على الكفر واضح وصريح بلا ذبذبة ولا تلون ولا تمييع ولا احتواء، بل مواجهة قوية مؤثرة مثيرة. وعليه فيجب أن يكون موقف الحركات الإسلامية من أفكار الكفر وفق مبدأ الإسلام فيجب عليها أن تحارب الديمقراطية والرأسمالية والحرية وفصل الدين عن الحياة أو عن السياسة، والقومية والوطنية وما شابه ذلك من أفكار الكفر محاربة لا هوادة فيها، وتستمر على ذلك حتى يتمكن الإسلام من سيادة الكرة الأرضية ومن اجتثاث هذه الأفكار من عقول ونفوس البشرية، فإذا قامت بعض الحركات بالعمل على تبنّي أفكار الكفر وإضفاء الصفة الإسلامية عليها، كالديمقراطية في الإسلام أو الحرية (الغربية) في الإسلام أو تحارب السياسة والعمل السياسي، فهذه الحركات لا تعارض الكفر معارضة حقيقية بل هي تعمل على تمييع الإسلام، وإدخال الظلم والظلمات على العدل والنور، وتعمل على ديمومة سيادة الكفر على الكرة الأرضية، فهي كمن يؤيد الالتقاء بين الإيمان والكفر ويمزج بينهما، وبين المؤمنين والكفار ويعتبرهم أخوة، وأن الناس مؤمنين وكفاراً يجتمعون معاً في الجنة والنار في آن واحد يوم القيامة. وعليه فيجب على المخلصين من أبناء هذه الحركات إيقاف هؤلاء العملاء الخونة الضالين المضلين عند حدهم، والإعلان على رؤوس الأشهاد أنهم يخونون أمانة الإسلام.

٢- إن موقف الإسلام من حكام المسلمين العملاء الخونة ومن دساتيرهم وقوانينهم ومواثيقهم الكافرة واضح جلي، فالهجوم عليهم وعلى أنظمة الكفر التي يطبقونها، وكشف مؤامراتهم وخياناتهم وعمالتهم أمر محتم، وواجب مصيري، فلا يجوز الارتماء في أحضانهم ومدحهم أو قبول التفاهم معهم ومع أنظمتهم ودستورهم عن طريق السير بفكرة الحوار أو التعايش حسب المفهوم الغربي، أو قبول أن تكون الحركات

الإسلامية هي التي تحمل الرأي الآخر، والسلطة تحمل الرأي النافذ، أو قبول لكسرة التعددية السياسية على أساس الدستور الكافر وكذلك المعارضة، بل يجب محاربة هذه الأفكار، وكشف مضمونها وإبعادها، التي تتلخص بسيطرة الكفر على بلاد المسلمين وديمومة هذه السيطرة، وإضفاء الشرعية على هؤلاء الطواغيت، وعلى أنظمتهم ودساتيرهم الشيطانية. وعليه فمن لا يتلبس بالموقف المبدئي الإسلامي عملياً تجاه هذه الأفكار وتجاه هؤلاء الحكام وأنظمتهم، فهو معارض مخادع، وتابع للقيادة الفكرية الغربية وأدواتها، وعليه فيجب كشف هؤلاء المخادعين، وعلى المخلصين من أبناء الحركات الإسلامية كشف هذه الشخصيات العفنة وتعريتها في الوقت الذي ينصبّ الهجوم على الحكام وعلى الأفكار ومَن وراءهم.

٣- إن موقف الإسلام من الخلافات الفقهية ومن الأمور الفرعية الإدارية والفكرية السياسية هو موقف واضح، وهو المناقشة بالدليل الأقوى ضمن حدود الأدب والاحترام، والذي لا يتلبس بالموقف الصحيح الذي يمليه الإسلام تجاه هذا الخلاف، فهو معارض مخطئ، وإن كان مدفوعاً من جهات خارجية بهدف تحويل الخلافات الفرعية إلى خلافات أساسية لشطر وحدة القوى الإسلامية وضرب كيانها وجعلها تتلهى في هذه الأمور لتنشغل عن العمل ضد أعداء الإسلام فهو معارض مخادع ومتآمر على الإسلام وحملته. فمسألة تأجير الأرض للزراعة، مسألة خلافية، البعض يجيزها والبعض الآخر يحرمها، فالتركيز على مناقشة مثل هذه المسألة بصورة زائدة عن الحد، وجعلها أمراً مصيرياً، هو أمر خاطئ إن صدر عن المخلصين، وهو خداع وتآمر إن صدر عن فئة تجعل من هذه الأمور الشغل الشاغل لها، ولا تستهدف أعداء الإسلام بالمعارك السياسية والفكرية. إننا مع الكفر كفرسي رهان، إما أن تكون الغلبة لنا أو له، ومع وجود اليقين عندنا أن الغلبة لنا بنصر من الله عزيز مؤزر، ولكن يجب علينا الأخذ بالأسباب امتثالاً لأمر الله سبحانه □

عبد الحكيم عبد الله

⇦ تتمة صفحة ٢١

ما هووضع «حماس» في مثل هذه المواجهة مع الأجهزة؟ إن المصادر لم تستبعد قيام حلف في النهاية بين «فتح» و«حماس» ضد الأجهزة، إذا طالت المواجهة. وهناك الآن موقف مشترك لهما، ظاهرة الفساد، فبعض رموز السلطة ألوى لجأة، ومنهم من أصبح يقيم في برج الظاهر، وهوأغلى بناية سكنية في غزة. ولكن وراء مقاومة الفساد تكمن رغبة «فتح» و«حماس» في حسن استعمال الأموال المسروقة أوالمهدورة لفائدة محازبيهما.

وسئلت مصادر «فتح» لماذا تتوقع انفجاراً خلال أشهر، قد يستبق موضوع صحة أبوعمار، فقالت إن السبب الأهم هوخشية «المتآمرين» من افتضاح أمرهم، فقد يحاول جناح في «فتح» تصفيتهم، أويحاولون هم تصفية خصومهم المعروفين، أوتحاول إسرائيل بدء التصفيات باغتيالات من عندها. أما السبب الآخر فهوالدور الأميركي والإسرائيلي في الموضوع، ونوع الحسابات المطروحة، وهل يفيد بقاء أبو عمار أورحيله، وهل المطلوب زعيم قوي بعده لإكمال العملية السلمية، أوخلق الأوضاع لحرب أهلية فلسطينية تدفن القضية نهائياً.

وقد دعي رجوب في الأسبوع الأخير من الشهر الماضي لمخاطبة لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب الأميركي، في خطوة نادرة من نوعها مع رئيس جهاز أمني أجنبي. وهواجتمع مع النائب بنجامين غيلمان، وحوالي عشرة من الأعضاء، كما قابل دنيس روس ومارتن أنديك ومجموعة من اللوبي الرسمي (أيباك). وكان واضحاً أن اليهود الأميركيين «يعجمون عوده» أويختبرونه ليقرروا إن كان يصلح لهم □

إقصاء الإسلام عن الحكم
وإدخال الأنظمة الغربية في الدساتير

بقلم: أحمد المحمود

إن تأثر علماء المسلمين بالغرب سبق تأثر الأمة، وعندما نقول إن الأمّة قد ضعف فهمها للإسلام وتزعزعت ثقتها بأحكامه وأفكاره فهذا يعني أن المرض هذا قد بدأ بالعلماء ثم وصل إلى المسلمين؛ لأن رأي الأمة تبعٌ لرأي علمائها. وقد وعى الغرب هذا الأمر وسار على قاعدة «إن الناس على دين علمائها» وعلى هذا فإن فساد العلماء سابق على فساد الأمة.

فكيف استطاع الغرب أن ينفذ إلى العلماء ويغرس مفاهيمه فيهم وينبت هذا النبت الخبيث النكد؟

في ظل أجواء الانحطاط الذي كان المسلمون يعيشونه في أواخر الدولة الإسلامية والذي تجلى في ضعف فهم العلماء للإسلام، وإساءة تطبيقه من قبل الحكام، نشأ عند هؤلاء العلماء قصور في تصور حقيقة المشاكل المتجددة والمتعددة فلم يتعمقوا في فهمها ولم يملكوا القدرة المطلوبة في فهم النصوص الشرعية المتعلقة بهذه المشاكل، وخفيت عليهم الأصول والقواعد الشرعية التي تضبط الفهم الصحيح وتحدد الوجهة الصحيحة في الأخذ، وتمنع الخروج عن الطريقة الشرعية في الاستنباط... وكان من نتيجة ذلك أن عجز علماء المسلمين عن معالجة المشاكل المتجددة وإيجاد الحلول لها. ومن خلال هذا العجز استطاع أن ينفذ الغرب بحلوله ويتغلغل بأفكاره، وكانت له خطته في ذلك، وتحدى نظام الإسلام في أفكاره وتحدى المسلمين في مشاعرهم.

فهاجم بعض أحكام الإسلام منتظراً من علماء المسلمين أن يقفوا من هذا الهجوم موقف المدافع، وكان له ذلك لأن الدفاع يتناسب مع حالة ضعف الفهم... فهاجم تعدد الزوجات وقال إن فيه انتقاصاً من كرامة المرأة وظلماً لها... وهاجم الطلاق ووصفه بأنه غدر بالمرأة وتقويض للبيت... وهاجم أحكام العقوبات ورأى فيها همجية القرون الوسطى المظلمة التي كان يحياها... وهاجم الجهاد وقال عنه بأن فيه اعتداءً على الشعوب وسفكاً للدماء... وهاجم الخلافة وقال عنها بأنها ديكتاتورية...

ولما رأى الغرب عجز العلماء في معالجة مشاكل الحياة المستجدة، وضع أمام هؤلاء العلماء عدداً من المسائل التي كانت من إفرازات تطبيق نظامه متيقناً أن لا جواب لدى هؤلاء العلماء سوى اللجوء إلى أحكامه لحلها... فسأل العلماء عن حكم الإسلام في النظام النيابي والانتخابات الحرة... وسأل عن موقف الإسلام من الحريات العامة: الحرية الشخصية والحرية الدينية وحرية إبداء الرأي... وسأل عن حكم الإسلام في التأمين... وسأل عن حكم الربا الذي يشكل ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها في التجارة الدولية والمبادلات التجارية... وسأل عن الروح والمادة وعن النزعة المادية و النفسية في التشريع.

ولما رأى الغرب تمسك المسلمين القوي بدينهم، وحميّتهم الشديدة للإسلام، واعتبارهم له بأنه فوق الشبهات أراد أن يزعزع كل ذلك... فانتقد تمسك المسلمين الشديد بدينهم وقال عنه بأنه تعصب ممقوت وانتقد بغض المسلمين للكفر والكفار وقال عنه إنه عصبية دينية فالإنسان أخو الإنسان أحب أم كره... وانتقد الحمية الإسلامية التي تغضب للحرمات ودعا إلى التسامح... وانتقد السخط من نقد القرآن، ومن ذم النبي، ومن قدح الصحابة، وقال بأن ذلك ينافي الروح العلمية والبحث العلمي. ولمّ الخوف على القرآن وغيره إذا كان صحيحاً.. طالما أن

البحث العلمي يعتمد النزاهة والموضوعية.....

فكيف تعامل علماء المسلمين مع هذا الهجوم وهذه الاستفسارات وهذه الانتقادات؟..

لم يقف علماء المسلمين موقف الإسلام الحق، بل قبلوا الإسلام متهماً وراحوا يدافعون عنه ويؤولون نصوصه بما لا تحتمله، ويخرجون بأحكام تتوافق مع أحكام الغرب وتتطابق مع طروحاته، ليظهروا أن الإسلام دين مرن يتسع لكل مشاكل العصر المتجددة والمتعددة؛ فوقعوا في المنزلق الذي رسمه الغرب لهم، وأجابوا بما يرضيه وبما لا يرضي الله سبحانه في شيء.

فأجابوا بأن الإسلام لا يقول بتعدد الزوجات إلاّ في حال الضرورة، ولا بالطلاق إلاّ ضمن شروط، وأن الجهاد حرب دفاعية... وأجازوا وقف نظام العقوبات بنظام آخر وضعي طالما أنه يحقق نفس المقصد وهو الزجر، وأجازوا أخذ النظام النيابي على أنه شورى وزعموا أن الإسلام جاء بالحريات وأنه دين الحرية، وتطابق تفسيرهم للروح والمادة والنزعة النفسية في التشريع مع تفسير الغرب...

أما المسائل الجديدة، والمشاكل التي لا تقع إلا في النظام الرأسمالي، فقد أولوا الإسلام وحرفوه، وقالوا بأنه يتوخى فيها المصلحة. فقالوا بجواز التأمين والربا.. وصارت القوانين في المجتمع هي القوانين الرأسمالية بحجة أنها توافق الإسلام أو أنها لا تخالف الإسلام.

واستبدلت بالمشاعر والأفكار الإسلامية المشاعر والأفكار الغربية... ففشا النفور من التمسك بأحكام الإسلام تمسكاً شديداً لئلا يوصف المسلمون بالتعصب، وصاروا لا يسخطون من نقد القرآن أو تخطئة الرسول (ﷺ) ليقال عنهم بأنهم يقبلون النقد العلمي النزيه والموضوعي... وصاروا ينفرون من التفريق بين المسلمين والكفار فدفنت الحمية الإسلامية... وصارت المشاعر القومية والوطنية تهز المسلمين ولم يبقَ من المشاعر الإسلامية إلا تلك المشاعر الكهنوتية المتعلقة بعقيدة روحية منفصلة عن شؤون الحياة، وببعض الشعائر الدينية التعبدية الفردية.

هذه الأمور كانت مظاهر لهزيمة المسلمين الفكرية والنفسية والتي أدت إلى إقصاء الإسلام الحقيقي عن الوجود السياسي... والحقيقة أن هذه الهزيمة كانت للمسلمين وليس للإسلام.. والعيب كان في خطأ فهم العلماء أولاً الذين كانوا سبباً كبيراً في إيصال المسلمين إلى ما وصلوا إليه.

إننا نتكلم عن علماء المسلمين الذين واكبوا المرحلة الأولى من الغزو الفكري الغربي الرأسمالي والذين تساوى الإسلام في نظرهم مع الفكر الغربي وخرجوا بأحكام لا تختلف عن أحكام الغرب ومعالجاته..

لقد تشابهت أحكامهم مع أحكام الغرب لتشابه الأصول والقواعد الفكرية التي اعتمدوا عليها، ولو ذكرنا بعضها لتبين لنا من غير أي تعليق مدى سقاية زرعها بماء الغرب النتن. وهي من مثل: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان» و«العادة محكّمة» و«حيثما تكن المصلحة فثم شرع الله» ومثل: «الحضارة الغربية بضاعتنا رُدّتْ إلينا» و«يجب أن نستفيد من تجارب الأمم الأخرى» ويحمّلون بعض القواعد أو النصوص ما لا تحتمل مثل قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» وحديث «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، أنّى وجدها فهو أحق بها».

أما الذي مكّن من إدخال هذه الأحكام المنحرفة والأفكار المضللة في دستور الدولة الإسلامية وجعلها تشريعاً يطبق، إنما هي فتاوى هؤلاء العلماء بأنها لا تخالف الإسلام، فقد أعطيت الفتوى من شيخ الإسلام بجواز أخذ القوانين الغربية وتطبيقها في الدستور وفي المحاكم، فهذا وجدت قبولاً لدى المسلمين بل اعتبرت هذه الأحكام المتأثرة إصلاحاً، وسمي العلماء بزعماء الحركة الإصلاحية، فرضي المسلمون بها وسكتوا عنها.

والسبب في فتوى شيخ الإسلام والعلماء بجواز أخذ الأحكام الديمقراطية والقوانين الغربية يرجع إلى ثلاثة أمور:

أحدها: ما تركز في أذهان علماء المسلمين وحتى اليوم أن ما لا يخالف الإسلام ولم يرد نص في النهي عنه يجوز أخذه. فالرسول أقرّ كثيراً من عقود الجاهلية التي كانت جارية بين الناس وكذلك المسلمون اليوم، فإن كل فكر أو حكم أو قانون لا يخالف الإسلام ولم يرد نهي عنه يجوز أخذه.

ثانيها: ما تركز في أذهان علماء المسلمين وحتى اليوم أن ما لم يرد نص فيه، فقد سكت عنه الشرع فهو عفو ويكون مباحاً. وأخذ الأحكام والقوانين التي لم ترد في الشرع ولم ينهَ الشرع عنها وليس فيها حرج يكون مباحاً لأنه مسكوت عنه.

ثالثها: ما شاع في تلك الأوقات، ولا يزال حتى اليوم أن الديمقراطية من الإسلام لأنها قائمة على الشورى. فالشورى في الإسلام نظمت في العصر الحديث بما يسميه الأوروبيون بالبرلمان. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثل في المدنية الحديثة بحرية الصحف في النقد وحرية الأفراد والجماعات في التأليف والنشر وإبداء الرأي.

من هنا جاء الخلل والانحراف لدى علماء المرحلة الأولى مما أدى إلى إدخال التشريعات الغربية في النظام والحكم.

هذا كله بالنسبة لعلماء المرحلة الأولى الذين كان وجودهم طامة كبرى على المسلمين. مكّنوا للغرب بعد أن مكّن لهم، وسوّغوا له أفكاره بعد أن بوأهم مناصب الإفتاء وأشهرهم وجعلهم قدوة الناس وأسوتهم.

أما علماء المرحلة الثانية الراهنة فإنهم لم يختلفوا في أصولهم الفكرية وقواعدهم المسماة شرعية، وأحكامهم المتهاونة، عن سابقيهم في شيء. بل إنهم صاروا أقدر على التعبير عن فكرهم. فإذا كانت «الديمقراطية من الإسلام» هو شعار السابقين. فإن شعار المتأخرين أمثال الغنوشي صار: «إن الإسلام هو دين الديمقراطية» وإذا اعتبر علماء المرحلة الأولى بأن الجهاد هو دفاع وليس اعتداءً، فإن ما صار لدى علماء المرحلة الثانية هو نشر الإسلام عن طريق وسائل الإعلام والنشر وأسماه الشيخ القرضاوي بأنه «جهاد العصر». وإذا كان يجوز للقاضي المسلم أن يتقلد القضاء في ظل الحكم الإنكليزي لأنه أقرب إلى قواعد العدل والإنصاف في نظر محمد عبده كما جاء في تفسير «المنار» عند تفسير قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله...﴾ فإنه في نظر فتحي يكن وأمثاله جائز إن لم يكن واجباً المشاركة في الحكم بغير ما أنزل الله ويعتبر عدم المشاركة خيانة للإسلام وغباء عند قائله. وإذا كان علماء المرحلة الأولى قد قالوا بأن الإسلام لم يتكلم في المسائل المستجدة وتركها لنا فإن الوابي نادى بضرورة تغيير الصور القديمة للأحكام الشرعية من مثل عدم جواز تولي المرأة للحكم أو قتل المرتد أو عدم جواز زواج المسلمة من كتابي. واتهم الأصول الشرعية الصحيحة المنضبطة بأنها متأثرة بالفلسفة اليونانية ودعا صراحة إلى الاستفادة من الفكر الغربي... وإذا كان جامداً ومنغلقاً كل من لا يقول بقول علماء المرحلة الأولى فإنه إرهابي وأصولي ومتطرف كل من لا يقول بقول علماء المرحلة الثانية الراهنة.

وهكذا نرى أن علماء المرحلتين، يخرج علمهم من مشكاة واحدة، لا ترضي الله ولا تقدم حلاً بل تركز الأوضاع بيد الغرب وتحقق للعلماء مصالح شخصية على حساب مصالح الأمة. وقد جُعل لطروحات المرحلتين شعار واحد وهو التجديد.

وإننا نتساءل تجاه هذا الواقع: كيف يستقيم الظل والعود أعوج.

ويحضرنا قول الشاعر:

«ترجو النّجاةَ ولم تَسْلُكْ مَسالِكَها
إنّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ»

لقد كانت همة الغرب إقصاء الإسلام عن واقع الحياة، وتحويل نظرة المسلمين إلى دينهم من دين يتناول كل شؤون الحياة إلى دين لا دخل له بالحياة على غرار الدين النصراني الذي نشأت

الراسمالية كردة فعل على تدخله في الحياة. أي إن الغرب أراد من المسلمين أن يتعاملوا مع دينهم كالنصارى على أساس: «فصل الدين عن الحياة». وإن من يتأمل فتاوى وتصريحات من يسمون بالعلماء اليوم، فإنه يراها تصب في نفس هذا المصب، وإن لم يقولوا ذلك صراحة، فقد بقيت أفكار العقيدة كما هي ولكنها تحولت من عقيدة سياسية تسيّر أعمال المسلمين والدولة الإسلامية في الحياة حسب أحكام الشريعة الإسلامية، إلى عقيدة روحية فردية لا دخل لها في شؤون الحياة، وبقيت أحكام العبادات الفردية والأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونفقة وميراث ومأكولات وملبوسات إسلامية. أما في المعاملات والأنظمة من حكم واقتصاد وسياسة خارجية.. فإن هؤلاء العلماء دعوا إلى الاستفادة مما عند الغرب لأنها من الأمور التي يطالها التطوير وتتغير بتغير الزمان. فالقرضاوي يعلن في كتابه «الحل الإسلامي فريضة وضرورة» أن حديث: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» لا يتناول هذه الأمور. فالأصل عنده في هذه الأمور الإباحة فهي متروكة للمسلمين، وليس للنصوص، يفعلون ما هو أوفق لمصالحهم، وأبعد عن الفساد. فانظروا إلى هذا النص للقرضاوي في كتابه المذكور والذي ترشح منه فكرة: «فصل الدين عن الحياة». يقول في صفحة ١٠٣: «وأنا أعلم أن فريقاً من المسلمين المتشددين يرفضون أي اقتباس لأي وضع أو نظام جزئي من خارج دائرة الإسلام، وهم في ذلك شبهات يذكرونها بوصفها أدلة وأسانيد كحديث: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وغفل هؤلاء عن المقصود بكلمة «أمرنا» في هذا الحديث. إنه أمر الدين من العقائد والعبادات والتكاليف، فهذا أمر توقيفي لا يقبل فيه الاقتباس ولا الابتكار لأنه لا يؤخذ إلا من الله وحده وإلا كان شرعاً في الدين ما لم يأذن به الله. أما أمور الحياة والمعاملات بين الناس أفراداً ودولاً وحكاماً ومحكومين فالأصل فيها الإباحة إلا ما منع منه الشرع بنص ثابت صريح، وهذا اتسع باب السياسة الشرعية أمام أولي الأمر من المسلمين الذين علموا أن من هدي الرسول وخلفائه الراشدين أن السياسة الشرعية كل ما يقرب المجتمع إلى الصلاح، ويبعده عن الفساد. وإن لم يجئ به نص فمالهم أن لا يصادم نصاً». وعلى هذا أجيز عندهم تولي المرأة المسلمة للولاية العامة أو الحكم بالرغم من وجود نص صريح في عدم جواز ذلك. وأجيز تحديد مدة ولاية الخليفة تماشياً مع ما عند الغرب، وأجيز عدم قتل المرتد بحجة أن الحديث ينطبق على الزمن الأول الذي تحوّل. وأجيز زواج المسلمة من كتابي بدعوى أن لا نص صريح يمنع من ذلك. وأجيز أخذ النظام الديمقراطي بحجة أنه شورى، والشورى مستقر حكمها في القرآن... وما إجازة هؤلاء العلماء المشاركة في الحكم بغير ما أنزل الله إلا أوضح دليل على أن أصحاب هذه الفتاوى يسيرون في إصدار أحكامهم على طريقة الغرب في «فصل الدين عن الحياة».

ونحن في هذا المقام لا نريد أن نتناول أشخاص هؤلاء العلماء بقدر أفكارهم، وإننا نتمنى عليهم أن يراجعوا أنفسهم ويرجعوا إلى إحسان الفهم. فالله كتب الإحسان في كل شيء، ويحب الإحسان في كل شيء ويحب المحسنين. والعالم ينال أجر علمه إن كان صحيحاً، وأجر من استدل بعلمه إلى يوم القيامة، وكذلك ينال وزر علمه إن كان سيئاً، ووزر من استدل بعلمه إلى يوم القيامة. وفي هذا المقام لا يقال إن للمصيب أجرين وللمخطئ أجراً واحداً، بل إن المصيب في الحكم إن كانت مصادره وأصوله وقواعده شرعية له أجران، وإن أخطأ فله أجر. أما من كانت مصادره وأصوله وقواعده غير شرعية فلا أجر له بل عليه الوزر سواء أصاب أم أخطأ. وهذا ما سنعرض له، إن شاء الله، عندما سنبحث في أدب وأصول الاختلاف أو ما يسمى عندهم بفقه الاختلاف □

(يتبع)

فاصبروا واسعوا ولا تهنوا

ما أطبق الليلُ إلا أسفر السَحَرُ ... وعادةُ الفجرِ بعدَ الليلِ ينتشرِ
وعادةُ الدهرِ لم تُؤمَن عواقبُهُ ... والأمسُ منقطعٌ والصبح منتظرُ
ما بين مد يهيب الطيرَ ساحلهُ ... وبين جَزرٍ به الأعوام تُعتصرُ
والعُمْرُ بينهما فرضٌ نكابدهُ ... فلا خُلاصةَ مما شاءه القَدَرُ
كأنّ عينيكَ حاكتني مودعةً ... وكم يُعبِّر عما تكتم النظرُ
لعل عندكَ أقوالاً ملجلجةً ... قُلْها بلا خَشْيةٍ، قد قارب السفرُ
عَلامَ تَحْذَرُ والأيّامُ فانيةٌ ... وكُلُّ ذي جَبَروتٍ سوف يندثرُ
لا يسْلمُ المرءُ من موتٍ يحاذِرهُ ... لكنّما قد يُنال المجدُ لا الخُفَرُ
فخلِّ نفْسَكَ في دار مُكَرَّمَةٍ ... أو لا سَتُغفِلُكَ الجنّاتُ والسِيَرُ
ويا دَمَ الثورةِ المسفوحَ لي أملٌ ... يشدُّني كلّما يُستقطع العُمُرُ
أخبرْ صحابيَّ عن الثوّارِ وارْوِ لهمْ ... فإنما أمهمْ عايَنْتُها عِبَرُ
وقلْ لهمْ كمْ يريدُ النصرُ من جَلَدٍ ... لأنّ دربـاً إلى تحقيقِهِ وَعِرُ
وكمْ يريدُ رجالاً بلْ وتضحيةً ... ومُخلِصيَّ أُمّةٍ في الحُكْمِ يَنتظِرُ
وقوةً وصمودًا دونما كَلَلٍ ... ومَبْدَأً راسخاً أركانُهُ صَخَرُ
وقلْ لهمْ فاصبروا واسعَوْا ولا تَهِنُوا ... فتلك آباؤكمْ من قبلُ قد نُشِرُوا
وعُلّقوا واستُبيحوا بل وقد حُرِقُوا ... فما استكانوا ولا ذلوا ولا كُسِرُوا
عقيدةٌ كلُّ شيءٍ غيرَها هَجَروا ... وغايةٌ كلُّ صعبٍ دونها عَبَرُوا
حتى أقاموا ورُغمِ الظلمِ دولتَهمْ ... فما لصدهمُ مقدورٌ يقتدرُ
ويا صحابيَّ وقدْ جالت بنا العُصُرُ ... أوْمِلْ الخيرَ فيكمْ بُكمْ صُبُرُ
إذا تبينتُ سوءاتٍ وأفضحُها ... ماذا تظنون ، إنّي منكمُ بشرُ
ولا تقولوا مَنِ المسئولُ يُصْلِحُها ... أنا وأنتمْ فشُدّوا الدربَ واختصِرُوا
من لم تُحَرِّكْهُ للأوضاعِ عاطفةٌ ... خيرٌ له اللحدُ أو لو أنه حَجَرُ

❁ ❁ ❁

لا تعذِلوني فإنّي شاعرٌ فطِنٌ ... أرى وأعرفُ ما يبدو وينستِرُ
هي السياسة إنْ مالت تُحَرِّكُني ... فلستُ أقْدِرُ كتماناً إذا غَدَرُوا
وكيف أسْكُتُ والآلامُ ناخرةٌ ... عَظْمي، ووسْطَ فؤادي تُفرزُ الإبَرُ
والنفسُ أحْرَقُ مِن جمرٍ تؤججه ... إذا استثيرت لظاها محرقٌ خَطِرُ
فضيةٌ عَظُمَتْ والناسُ راقدةٌ ... وداؤها مُعْضِلٌ والمعتدي أشِرُ
قتلُ امرئٍ في فلاةٍ غيرُ مغتَفَرٍ ... فقتلُ شعب أمين كيف يُغتفرُ؟!
يا راويَ القومِ هل ساءلتَ ما الخبر ... غداً سيَعْلَمُ منكَ السَمْعُ والبَصَرُ
ففي دمائيَ ثأر يغتلي غضباً ... وفي أكُفّيَ نار الحق تستعرُ
ولم تنمْ ليَ عينٌ فهْي ساهدةٌ ... حتى أرى دولَ الأوغاد تنصهرُ
يا راويَ القومِ عنْ ماذا تَسَألني ... أعنْ فِلَسطينَ أمْ لبنانَ تَخْتَبِرُ
أمْ عنْ بقايا دُوَيْلاتٍ ممزّقةٍ ... صارتْ هوامشَ بالأكفان تَأتَزِرُ
كانت فِلَسطينُ إذ كنّا بمَبْدَئِنا ... فكلُّ كفٍّ تريدُ الشرَّ تنبترُ
واليومَ إذ فرّق الأعداءُ وحدتَنا ... باتت تُنازعُ رُوحاً كلُّها طُهُرُ
مقرّحٌ قلْبُها مستعتبٌ دمُها ... وخافتٌ صوتُها والجسم منطمِرُ
والنهبُ والقتلُ والتشريدُ منتشرٌ ... والخوفُ والخطفُ والتعذيبُ والدُعُرُ
في كل زاويةٍ نَذْلٌ يدنّسها ... فالعِرضُ منهتِكٌ والدِينُ محتقَرُ
أنتمْ تظنون حقاً أنكمْ عَرَبٌ ... والقدس مغصوبة تشكو وتنتظِرُ
تبّاً لكمْ لن تنالوا أيّ منفعةٍ ... ما دام في الشعب حُرٌّ عنده غِيَرُ
لو كان أجدادُنا يَدْرون خِسّتَكمْ ... كيْ يقْتلوكمْ لكانوا قبْلكَ التحرُوا

❁ ❁ ❁

سبحان ربكَ كيْف التيهُ يرعبُنا ... في الشعب مستامِداً إذ نَحْنُ ننحسرُ
هذان جيشانِ مدحورٌ ومنتصرٌ ... وإن تظاهَرَ بالطغيانِ مندحرُ
فهمْ ونَحْنُ نقيضا مَبْدَإٍ أبداً ... إذنْ فما للتقي لو ينطِق القمرُ
قالوا انتصرنا وفزنا إذ رأوا عُمَراً ... وخالداً وصلاحَ الدين قد قُبِرُوا
لم يعْلموا أنّ ما قدْ صاغ قادتَنا ... باقٍ ويبقى به يَسْتَنْوِرُ البَشَرُ

مخطّطٌ احكَموا تنفيذَه قَدَراً ... وكلّ عصر سلاحٌ فيه يُبتكرُ
حتى إذا لم يلبِّ اللّينُ مطلبَهم ... يأتون بالنارِ علّ الشعبَ ينكسرُ
في مجلسِ الأمنِ شكوى تِلْوَ ثانيةٍ ... ومجلسُ الأمنِ بالأعداء يأتمرُ
أما قراراته حبرٌ على ورقٍ ... إلاّ قراراً لإسرائيلَ ينتصرُ
وما جهِلْنا بل الحكامُ جاهلةٌ ... بما كظَمْنا لذنبٍ ليسَ يُغتفرُ
مهما تطاولَ ذو بغْيٍ بقدرته ... فقدرة الله تأتيه فيزدجرُ
للحاكمين ملايينٌ مكدّمةٌ ... في مصرع الشعب لا للشعب تنهدرُ
أما الرجال فآراءٌ مفرّغةٌ ... تِسعون فوجاً وكلٌّ همُّه السُكَرُ
يا مَعشراً قد اباحوا كلَّ مَحْرُمةٍ ... وبالتناقض واللذات قد غُمِروا
حرّية اليوم لا شيءٌ يقيّدها ... فليس فيما يشاء المرء محتظرُ
العابدون رجال في مقابرهم ... والكافرون بما قد قالت البشرُ
يقدّسون اباطيلاً ملفّقةً ... نهجَ الطغاة وفيها يُعبد البَشَرُ
هم يَرجعون إلى مليون إذ حَرُمَتْ ... باسم التقدم، كلاّ إنهم أشِرُوا
فلا يَغُرّنهم مالٌ ولا عددٌ ... ولا الجيوشُ ولا تخدعْهُمُ الغِيَرُ
سيعْلمون إذا ما يوماً انقلبتْ ... عليهمُ الفعلةُ النكراء ما الخبرُ
ومن يُمَنّيهُمُ يوماً سيَخْذُلُهُمْ ... وإننا نَحْنُ أقوى حين نَدّكِرُ
اطبقْ دُجَى، كلّما أطبقتَ تنفرج ... وعادة الصبح بعد الليل ينفجرُ

❁ ❁ ❁

الواقفون بكل الساحة انتشروا ... تفننوا في ضروب الغزو وابتكروا
تلوّن الوجهُ والأهدافُ واحدةٌ ... وكلُّهمْ يدّعي خيراً ويبتدرُ
مستعمِرُ اليوم فنّانٌ بحرفته ... خِبٌّ خبيثٌ خدوعٌ حاذقٌ حَذِرُ
ياتيكَ مختبئاً أو غازياً علناً ... بقوةٍ او بحُسن اللين يستتر
خلْفَ الستائر والأبواب مختبئاً ... أو كالغمام مِن الأفلاك ينحدرُ
في علبة الغاز والكبريت منتشراً ... في الشعر في الثوب في الأردان يتطمرُ
باسم الصديق ويأتينا مساعدةً ... او كالمعلّم بالتعليم يأتزرُ

وقد يحاول باسم الدين يخدعنا ... أو منقذاً يبدأ بالإصلاح يعتبر
ثقافة الغرب سيف ظل منصلتاً ... يهوي علينا وحيناً كان ينتظر
كنعلة الضبع إذ تأتي فريستها ... تدلل إلا بتلك الضبع تأتمر
من لي بمضبعة الأذهان يوقظها ... فليسمعوني: عليهم فكرهم خطر
المرء إن لم تكن نوراً عقيدته ... تعساً له ولها، فلتحسوها الحفر

❁ ❁ ❁

مهازل لم ترَ الدنيا فما شبهاً ... مما نراه تكاد الأرض تنفطر
يوماً سنصبح للتاريخ مسخرة ... ماذا سيكتب ؟ بل عنا سيعتذر
ماذا نقول لأجيال ستسألنا ؟ ... يندى جبينهم لو غيرهم فخروا
ماذا نقول لرب العرش يسألنا ... يوم اللقاء ويوم الناس قد حشروا ؟
أوهى الخلائق من تأتي منيبته ... وقد تقضى بحضن اللذة العمر
وأكثر الناس إيماناً ومقدرة ... مجاهد في سبيل الحق يستعر
وأجبن الخلق من يحيا مداهنة ... منافقاً في سبيل الذات يحتقر

❁ ❁ ❁

أنذرتكم يا ذيول الغرب فازدجروا ... هذا هو الشعب يوماً سوف ينفجر
هذا هو الحق لا يستطيع مغتصب ... فأغلقوا دوركم بالوحل واحتجروا
وغادرونا فإن الصبح منفلق ... سيفضح الصبح كفاً كلها وضر
وإنها ثورة كالحق صارخة ... ستمحق الظلم رغماً ثم تنتشر
وضد كل معادي الشعب طاغية ... ماشهر السيف حتى ينزل الظفر
إن يسجنوني أبشر تلك أمنيتي ... او يقتلوني فدا والله أنتظر
هذي أساور كسرى سوف نلبسها ... أبشر مراقة فالدنيا ستزدهر
وإن سمعاً إلى العلياء منطلقاً ... لن يقدر الجن يثنيه ولا البشر □

❁ ❁ ❁

قصيدة: من أعماق الشاعر

١٩٧٦م

كلمة أخيرة

مؤتمر الدوحة الاقتصادي

«المؤتمر الاقتصادي للشرق الوسط وشمال أفريقيا» تم عقده أول مرة (١٩٩٤) في المغرب ثم في الأردن (١٩٩٥) ثم في مصر (١٩٩٦) والآن (١٩٩٧) في قطر. الدول الغربية وعلى رأسها أميركا ارادوا المؤتمر ليكون إحدى الوسائل لدمج إسرائيل في المنطقة، أو بالأحرى لإغراء إسرائيل بالتحول عن احتلال الأرض إلى الهيمنة الاقتصادية على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وقد بيّن بيريز طموحات إسرائيل في هذا المجال في كتابه عن شرق أوسط جديد.

المؤتمر من البداية هو لخدمة إسرائيل وخدمة الصياغة الأميركية للمنطقة. والدول العربية التي حضرت المؤتمر في انعقاداته السابقة لم تكن تحضر لأنها مقتنعة بفائدة الحضور، بل لأن الدول الغربية، أميركا، كانت تطلب هذا الحضور. والآن تخلّفت بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر والسعودية. ونحن متأكدون أنها لم تتخلّف بدافع وطني ذاتي، بل تخلفت لأن أميركا طلبت منها التخلف.

أميركا تتظاهر أنها تحضّ جميع الدول في المنطقة على الحضور، والحقيقة هي غير ذلك. أميركا تريد من إسرائيل أن تسير بموجب خطتها في المنطقة، ولكن إسرائيل (وخاصة نتانياهو) تتمرد على أميركا في كثير من المسائل. ومن هذه المسائل الانسحاب من الجولان. أميركا لا تريد إعادة الجولان إلى السيادة السورية بل تريد أن تأخذ هي الجولان بحجة الفصل بين الجيش السوري وإسرائيل. والحقيقة أنها تطمع في الجولان لأنها تستطيع منها أن تسيطر على سورية ولبنان وفلسطين والأردن وغيرها.

ولأن إسرائيل ترفض الانسحاب من الجولان فهي تعطل الخطة الأميركية، ولذلك بدأت أميركا بالضغط على إسرائيل عن طريق تحريض أدواتها على مهاجمة التطبيع مع إسرائيل ومهاجمة «العولمة» نحوها ما دامت لا تنسحب من الأرض (الجولان). وهي تحض لبنان على البقاء مع المسار السوري. وهي حضت السعودية ومصر (سرّاً) على مهاجمة مؤتمر الدوحة كي تبرز لليهود في إسرائيل وفي أميركا وفي العالم أن سياسة نتانياهو تضرّ بإسرائيل، وتتظاهر أنها تعمل لإنقاذ إسرائيل من إسرائيل. من أجل إجبار نتانياهو على السير في الخطة الأميركية أو إسقاطه.

أميركا والدول الغربية يقولون بأن المؤتمر هو لصالح دول المنطقة وشعوبها. وأنه سيوجد لهم البحبوحة والازدهار. وهذا تضليل، إنه لصالح إسرائيل وصالح الدول الغربية. ولو كانوا صادقين لكانوا نصحوا قطر بعدم دعوة إسرائيل، وعندئذٍ كانت ستحضر المؤتمرَ دولٌ كثيرة في المنطقة.

الدول العربية التي قاطعت المؤتمر أعلنت أن السبب هو عدم التقدم في عملية السلام. وقد ردت قطر على مصر بأنها عقدت المؤتمر عندما لم تكن عملية السلام متقدمة، بل كان عدوان إسرائيل على جنوب لبنان وكانت مجزرة قانا. وهذا صحيح، فكلهم عملاء.

الحضور السياسي للمؤتمر في قطر خيانة. وحضور رجال الأعمال أيضاً خيانة. كما أن حضور المؤتمرات التي سبقته في المغرب والأردن ومصر خيانة. وعمليات الصلح من مصر والأردن ومنظمة عرفات خيانة وفتح سفارات أو مكاتب لإسرائيل في المغرب وتونس وعُمان وقطر وغيرها خيانة. ومصافحة أي مسؤول إسرائيلي خيانة. والانفتاح التجاري والإعلامي والثقافي على إسرائيل خيانة. والاستعداد للاعتراف بأي كيان يهودي في فلسطين أو أية بقعة فيها أو في بلاد الإسلام هو خيانة.

يجب على الأمة الإسلامية، عرباً وغير عرب، أن تقف في وجه الخيانة والخائنين، وأن ترفع الصوت وتتحرك لمنعهم من تكرار هذه الخيانات. إنّ سكوت الأمة يطمع الخونة ويشجعهم.

إن هؤلاء الخونة ليس لهم سند من الأمة. إن سندهم هو أسيادهم الكفار المستعمرون. وهؤلاء سيتخلون عنهم إذا زمجرت الأمة ورفضت الإذلال والخيانة. وستجد الأمة أن العالة التي تحيط بهؤلاء الخونة أوهى من بيت العنكبوت ☐

إنّما المؤمنون إخوة

- أميركا وحلفاؤها يحشدون أساطيلهم للاعتداء على العراق من جديد.
- أهل العراق مسلمون، هم إخوتكم، فلا تتخلوا عنهم. وإن تباطأ حكامكم عن نصرتهم فأجبروهم على ذلك إجباراً.
- أهل العراق يناشدون الأمة الإسلامية أن تقف إلى جانبهم ضد كيد الكفار المعتدين الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذِمّة.
- قال الله تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾.
- وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «المسلم أخو المسلم لا يَظْلِمُهُ ولا يخذُلُهُ ولا يَحْقِرُه».
- وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُهُ بعضاً».
- وقال ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهِمْ وتراحُمِهِمْ وتعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمّى».
- وقال ﷺ: «واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».
- وكتبَ ﷺ في وثيقة المدينة: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين... إنّهم أمّة واحدة من دون الناس... وإنّ سِلْمَ المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلاّ على سواء وعدل بينهم» ❑